رسالة جديدة جديرة بالقراءة

المُقاربة لنازلة العصر

قدراً وشرعاً

كتبها

الشيخ عمر بن محمود أبو عمر
أبو قتادة الفلسطيني
حفظه الله تعالى

النور للإعلام الإسلامي

المُقاربة لنازلة العصر
قدراً وشرعاً

الطبعة الثانية

١٤٣٣ — ٢٠١٢م

الناشر:

النور للإعلام الإسلامي

AL NUR ISLAMIC INFORMATION

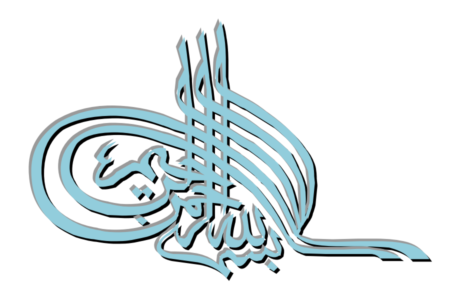
Vesterbrogade 208 Box: 276 – 1800 Frederiksberg C. Denmark
Phone: (45) 2077 4828. E-mail: alnur1@hotmail.com



فحسبنا الله ونِعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم، وبالجملة فالسلامة من الخطر، أمرٌ يعِزُّ على البشر، فسترَ الله على من ستر وغفرَ لمن غفر:

فَـانْظُرْ إِلَيْهَـا نَظَـرَ الْمُسْتَحْسِـنِ ... وَأَحْسِـنِ الظَّـنَّ بِهَـا وحَسِّـنِ
وَإِنْ تَجِـدْ عَيْبـاً فَسُـدَّ الخَلَـلا ... فَجَـلَّ مَـنْ لاَ فِيـهِ عَيـبٌ وَعَـلا
وَالحَمْـدُ للهِ عَلَـى مَـا أَوْلَـى ... فَـنِعْمَ مَـا أَوْلَـى وَنِعْـمَ المَـوْلَى
ثُـمَّ الصَّـلاةُ بَعْـدَ حَمْـدِ الصَّـمَدِ ... عَلَـى النَّبِـيِّ الْمُصْـطَفَى مُحمَّـدِ
وَءَالِـهِ الأَفَاضِـلِ الأخْيَـارِ ... مَـا انْسَلَـخَ اللَّيْـلُ مِـنَ النَّهَـارِ[1]

[1] الأبيات من «مُلحة الإعراب» للقاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبي محمد الحريري البصري (٤٤٦ـ ٥١٦هـ/١٠٥٤ـ١١٢٢ م).



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد الأمين، وعلى آله، وصحبه أجمعين. أما بعد:ـ

فهذه قراءة مقاربة لواقع الأُمَّة الحادث الجديد، مع محاولة مُتواضعة للإجابة على أسئلة معلّقة حول واجب الوقت والضرورات الشرعيَّة المُلائمة له، يُقال هذا مع أنَّ الأحداث تتسارع على وجه يلقي بظلال الظنِّ بدل الجزم الذي يسعى إليه بعض النَّاس لتحديد الوجهة وسُبل الفِعل اللازم الضروري، ولذلك ينبغي الابتعاد عن المواقف الحادَّة الجازمة حتى لا تتحول إلى عوائق للحركة والفِعل دون التخلي عن الثوابت الشرعيَّة فيما هو بيِّنٌ جليٌّ، فشعار عنوان الاتِّباع هو اللازم التزامه دوماً بلا خرمٍ أو استثناء، وتحقيق عبودية الله في النَّفس والمجتمع هو سائقٌ لأفعال كليَّةٍ وجُزئيَّةٍ، فالفعل عند المسلم فيما هو عامٌّ وكليٌّ شأنه شأن الفعل الخاصِّ والذاتي، إذ كلُّه يحقق العبودية والإخبات، والفِصام الواقع اليوم في أذهان بعضِ العاملين في التفريق بين مهمَّة الدعوة ومهمَّة الدولة أو الحزب، هو فصام شرٍّ وسوءٍ لا يقوله مَن يفهم وظيفة المسلم بل وظيفة الإنسان في هذا الوجود، وهذا باب الاتِّباع العامِّ وهو الأصل يليه باب الاجتهاد والذي هو تبع له، والتبع لا يلغي الأصل بل يُؤكِّده ويشده ويعين على تحقيقه، فكلُّ اجتهاد في تحقيق واجب الوقت لا يحقق العبوديَّة في النفس والمجتمع ملغي بإلغاء الشرع له، وهذا يُقال لأنَّ فروع الواقع والانغماس فيها اجتهاداً وفعلاً قد يأسر المرء إلى إلغاء

النظر لمُهمَّته الشرعيَّة، كما أنَّ جهل بعض الناس في مفهوم العبوديَّة قد يدفعه إلى عدم النظر إلى واجب المسلم في المجتمع انتكاساً إلى واجبه في نفسه وأُسرته.

فهذه الورقات تحمل قراءة للواقع الجديد الطارئ من جهتين؛ التفسير والذي يحقق التصور الصحيح ثم الحُكم عليه وانبعاث الإرادة نحو الفعل الشرعي المُقارب، وهي تأتي بين التأخر والتعجّل، فأمَّا التأخر فإنَّ الواقع الجديد قد صار له أكثر من عامٍ وهو في حِراكٍ، وكانت الأسئلة تنهال: ماذا نفعل؟ وأين نحن من هذا؟ مع وجود كمٍ هائلٍ من التحليل والتفسير، بعضها كان يصبُّ في اتهام طريق الجهاد، إذ ظنَّ أصحابه أنَّ التغيير يحتاج لهذا البلاء الذي سلكته طوائف الجهاد، فبدأ القدح والسبُّ حتى قال بعضهم: «إنَّ أئمة الجهاد قُتلوا بهذه الأحداث قبل قتل أعدائهم لهم»!، وذلك على تفسيرهم أنَّ الثورات بوسيلتها ومقصدها كانت على خلاف طريقة المجاهدين، أمَّا الوسيلة فقد غرَّتهم البدايات السريعة حين سقط طاغوت أو اثنان بدون مُواجهةٍ مُسلَّحةٍ، وأمَّا الغاية فإنَّ مقصد الشعوب كان في شعاراتهم الداعية إلى الحريَّة والكرامة و«الديمقراطية» ولم ترفع رايات المجاهدين بتحقيق «دولة الإسلام» ولا مطالب تطبيق الشريعة.

وأما التعجّل فإنَّ الواقع ما زال في نفس الحِراك الذي انطلق منه، فإنَّ الورقة الأولى ما زالت هي، ولم تُقلب، بل لم يتحقق فيها إلاَّ كتابة العنوان، وأما الفِعل فما زال يُراوح في خُطوته الأُولى، حتى في المناطق التي سقط فيها الطاغوت، فرعون، ولذلك قد تكون بعض الكلمات «تفسيراً» لحدثٍ لم يكتمل فيأتي التفسير ناقصاً، كما وقع ممَن تقدَّم ذكرهم بأنَّ الطاغوت يمكن إسقاطه بالحِراك السلمي دون جهاد ومُواجهة، فما أنْ كرَّ النَّاس النظر مرةً أُخرى حتى رأوا مُواجهات وأسلحة وصارت كلمة الجهاد أكثر حضوراً من غيرها في ميادين

التغيير، وكذلك جاءت المطالب بعد هدوء بعض الغُبار حين صارت مُواجهات بين الإسلام والعلمانيَّة في تلك الميادين.

هذه المُقاربة لا يُرجى منها كسب العدو ولا ردع المُنافق، فهؤلاء لا ينشغل بهم العاقل، ولو فعلَ لأَضاعَ وقته وجُهده في غير طائلٍ، لكنَّها مع ذلك يحصل بها ردُّ جهالاتهم ضدَّ طوائف الحقِّ والدِّين، وهؤلاء قد يردعهم الواقع أكثر من الحقِّ، لأَنَّهم أَسرى القوَّة والغلبة، وأمَّا المؤمن فإنَّه أسير الحقِّ وحده دون غيره، حتى في زمن ضعف الحقِّ وذهاب قُوَّته، وهذه تذكرة لأهل القرآن والإسلام أن لا يكونوا أبداً أَسرى الفِعل الذي يحقق المقصد في ظرف من الظروف، والقرآن يقول: ﴿ **قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ** ﴾[المائدة: ١٠٠]، فالخبيث قد حصل له الكثرة والغلبة، وقد تحصل له الأكثرية، لكن هذا لا يَقلبه حقّاً أبداً، فهو كما في الحال الأولى الذي سمَّاه الله به «خبيثاً»، لكن من الحكمة النظر إلى الفعل واتجاهه، فقد يوطأ للحقِّ بالباطل، وقد يختلط الحقُّ بالباطل، وهاتان قضيتان كُلِّيتان في التاريخ وُجوداً، وفي الشرع أحكاماً وأقضية، ومن لم يراعِ هاتين القضيتين فاته شيءٌ عظيمٌ.

أما **الكليَّة الأولى**؛ فإنَّه ما مِن حقٍّ في الوجود يحصل له الغلبة والحضور إلا ويسبقه من الأقدار التي يجريها الله له حتى يحصل له الثبات والنماء ثم الغلبة والظفر، وهذا داخل في سُنَّة التدافع كما قال تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ** ﴾[البقرة: ٢٥١]، فهذا يوسف عليه السلام يوطأ له التمكين والتعليم بفعلٍ قدريٍّ لا وجود للإيمان الشرعي في حركة أصحابه كما قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾** ﴾[يوسف: ٢١]، وكذلك ما وقع لموسى عليه السلام

كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [القصص: ٩]، وذلك تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه: ٣٩]، ومن ذلك ما وقع لأهل يثرب في الجاهليَّة من اقتتال الأوس والخزرج حتى طحن بعضهم بعضاً في موقعة «بُعاث» فمات أكابرهم وأقيالهم، وهم في سنن الدعوة الصادون عن الحقِّ دوماً، فلم يبقَ إلا أهل القبول من الفِتيان وأشباههم، وعلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾﴾ [الفيل: ١]، ومثلها قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾﴾ [الروم: ١ ـ ٢]. فإنَّ فيهما من معاني إثبات الفِعل الإلهي ما يحقق معاني الإيمان في نفوس أهله مع أنَّهما لا يدخلان في فِعل الإيمان الشرعي نفسه، وهذه الكليَّة تستوجبُ بحثاً شرعيًّاً لم يوجد فيه كلام للسابقين على وجهٍ مستقلٍ وإنْ وُجدت له فتاوى تُلائم جُزئيات تُشبهه، وهذا البحث يدور حول موقف المسلم الشرعي فعلاً في هذا الحدث، وها هنا الكلام عن الفِعل وليس القلب، فإنَّ المؤمن يفرحُ للفِعل حين يخدم الدِّين حتى مع خُلُوِ صاحب الفِعل من الإيمان، وهذا ما وقع للصَّحابة رضي الله عنهم في غلبة الروم لفارس كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم: ٤ ـ ٥]. وكما ورد بسندٍ فيه مقال حين فرح المسلمون بنصر النجاشي على خصومه حين كانوا مهاجرين في الحبشة.

ثمَّ إنَّ الكلام في هذه المسألة ليس باعتبار الخاصِّ بل باعتبار الكلِّ؛ وقد علم في مواطن من الفقه وأصول التفريق بين الأمرين كما ذكر الإمام الشاطبي في «المُوافقات» حين قال: «إنَّ الإباحة بحسب الكُلِّيَّة والجُزئيَّة يتجاذبها الأحكام

البواقي. فالمباح يكون مباحاً بالجزء، مطلوباً بالكلِّ على جهة الندب أو الوجوب؛ ومباحاً بالجزء، منهيًّا عنه بالكلِّ على جهة الكراهة أو المنع»[1].

وقال: «إنَّ الأفعال كلّها تختلف أحكامها بالكُلِّيَّة والجُزئيَّة من غير اتفاق»[2].

وهذه القواعد تُبيِّنُ الفَرق بين اختيار الفرد لنفسه وبين اختيار الجماعة، وهذا لاعتبار مقصد كلٍّ واحدٍ، فاختيار المرء يعود لنفسه من الخير، واختيار الجماعة يعود للإسلام ومقاصده من الخير، وهذان المقصدان مع اتفاقهما في كثير من الموارد إلا أنَّ بينهما افتراقاً كذلك، فانغماس المرء في صفوف الكفار لمقصدٍ ذاتيٍّ لا يجيز إيراد الجماعة كلّها هذا المورد، والمرء قد يترك مُباحاً زُهداً به، ولو تركت الأُمَّة كلُّها هذا المباح لَكان الضرر عظيماً، ولذلك فإنَّ قيام موسى عليه السلام بالانتصار للإسرائيلي على القبطي ﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ ﴾ [القصص: ١٥]. كان على معنى السلوك الفردي، وبهذا تعلم سبب عدم انتصار النَّبي ﷺ لأصحابه في مكة وهم يُعذَّبون، مع وجود المعنى في حادثة موسى عليه السلام، لكن افتراق الحال بين فعل الإمام الذي تقتدي به أُمَّته وجماعته، وبين فعل الواحد فقط.

فهذه مسألة: وهي الأفعال القدريَّة الموطئة للحقِّ وانتصاره مع خُلوها من الفِعل الإيماني الشرعي هل تدخل فيها الجماعة أم لا؟، ومع وُجودها في الحياة إلا أنَّ الواقع اليوم هو أقرب للمسألة الثانية وهي اختلاط الحقِّ بالباطل، وموقف المسلم الشرعي من المُشاركة مع أمن الضرر وتحقيق النفع.

وقبل نقل موقع القَدَم إلى مسألة الواقع فإنَّ الأقرب إلى الحقِّ في المسألة الأولى **هو القول بالمنع**، فإنَّ الأفعال الشرعية للكلِّ لا تُبنى على التقديرات القدريَّة

[1] «المُوافقات في أصول الشريعة» لأبي إسحق الشاطبي: ١/ ١١٣.
[2] «المُوافقات في أصول الشريعة» لأبي إسحق الشاطبي: ١/ ١١٨.

المخفيَّة دون دلالة غلبة الظنِّ، وهذه الوقائع القدرية الموطئة قدراً للحقِّ لا تُدرك إلا بعد وُقوعها، فهي على معنى التوهم في التفسير، والتوهم يخطئ أكثر مما يُصيب، والله يقول: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧﴾ [الأنفال: ٧]، ويقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١]، ويقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٢٤﴾ [الفتح: ٢٤]، وهي تدلُّ أنَّ الأقدار قلما يُدرك النَّاس مآلاتها، ومن المعلوم أن الأحكام تُبنى على العِلل، وهي عند أصحابها معاني مُدركة ثابتة محددة، والتوهم ليس كذلك، وهذا الباب هو عامة خطأ الحركات الإسلامية في قراءتهم للأحداث، وهي تنتج لديهم التحالفات الباطلة والتي أدت إلى الشرِّ الكثير، ولم يتحقق في أي صورة من وقائعها منفعة، بل كان فيها الشرُّ والأذى ثمَّ الندم.

وهذه المسألة لها وجهٌ آخرٌ من الفِعل غير الدخول والمُشاركة، وهي قرينة الفرح الذي قاله الله تعالى عن المؤمنين بنصر الروم على الفُرس، فإنَّ الفرح سبقه ولا شكَّ الرجاء والتمني، فجاء الفِعل على وِفْقِ الرجاء والأماني فوقع الفرح، وهذا الرجاء والتمني يُوجب عقلاً أنَّ لا يُعادي المؤمن فِعْلَ الآخر فيه، بحجَّة أنَّ فاعله ليس مؤمناً ولا له مقاصد الشرع، وهذا الباب هو ما يستحق الاعتناء والتفسير والبسط.

فإنَّ المسلم يقرأ فِعْلَ الآخر من وجهين كما دلت حادثة غلبة الروم وغيرها، أما الأول فهو من جهة شرعيتها، وهذا لا مدخل لنا فيه، لأنَّه خطاب الشارع بالأحكام مُوجه للمكلَّفين من المسلمين، وقد علم أنَّ الكافر لا يُكلَّف إلا بعد إيمانه من جهة خطاب الفِعل، أما الإثم والجزاء فهذه مسألة أُخرى، فلا يخاطب الكافر بالصَّلاة والصوم والأحكام إلاَّ بعد إسلامه، وكذلك لا يخاطب المرء إلا

بعد إيمانه، والله لا يلزم أحداً بأمر إلاَّ بعد وُضوح الحُجَّة له كما قال: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥** ﴾ [النساء: ١١٥]. فاشترط تبيُّن الهُدى للسؤال، وهذا في قواعد الشريعة وفي فُروعها، فإنَّ المسلم لا يُعاقَب إلاَّ بما قام له الدليل على ثبوته، ولذلك لا يأثم المجتهد إنْ خالفَ الحقَّ في اجتهاده، هذا مع شرط خُلُوِ الاجتهاد من الهُدى، ولذلك فقد يقع من الكافر فِعلٌ يُوطئ للحقِّ مع أننا لا نُسمي فِعله عملاً شرعيًّا، كما أنَّه قد يقع من المجتهد فِعْلٌ غير شرعي ويحصل به من الخير مع عدم تسميته حقّاً، لأنَّ الحقَّ على الصحيح واحدٌ لحديث: «**إِذَا اجْتَهَدَ الحَاكِمُ فَأَخْطَأَ...**»[1].

ولذلك سمَّى الله فِعل المُبطلين من أهل الإفك «خيراً» كما قال تعالى: ﴿ **لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ** ﴾ [النور: ١١]، وذلك باعتبار مآلاته للمسلمين، هذا مع إثمهم وإفكهم، فكيف إذا تحقق الخير من مُريده ولم يُصبه، ولكن كان من القدر المُلازم له الخير الكثير للمؤمنين.

وهذا لا يفهمه إلاَّ مَن فرَّقَ تفريقاً قرآنيًّا بين القدر والشرع، فإنَّ الخير القدري لا يعني أبداً الجواز الشرعي كما في الحديث عن الخمر فقد سأل طارق بن سويد رسول الله ﷺ عن الخمر يصنعها للدواء فقال: «**إِنَّهَا لَيْسَتْ بِدَوَاءٍ وَلَكِنَّهَا دَاءٌ**»[2]. وهذا ليس نفياً لمنفعتها دواءً في أبواب أو أحوال، لكنَّه نفي للجواز، والذي هو نظر إلى غلبة المفسدة على المصلحة، والله يقول عن الخمر والميسر: ﴿ **قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا** ﴾ [البقرة: ٢١٩].

---

[1] «معجم أبي يعلى الموصلي» لأبي يعلى أحمد بن علي المثنى التميمي الموصلي: حرف العين.
[2] «سنن الترمذي» باب ما جاء في كراهية التداوي: حديث رقم: ٢٠٥٨.

فقه المسلم هذه المسألة يُوجب عليه أن لا يُسمِّي الباطل حقّاً حتى لو حصل به الخير، لكن إنْ وقع هذا فإنَّ له جانباً آخر من البحث، وهو عدم خطاب صاحبه على وجه ما يقع من خطاب المُبطل من كلِّ وجهٍ، ولا معاونته ضدَّه، بل هو يُلاحظ ويستثمر ويرجو، هذا مع ما تقدَّم من ترجيح عدم جواز المُشاركة والفِعل.

ولذلك قد يقوم قومٌ على ظُلمٍ في أنفسهم وأموالهم، وهم ضلّوا عن مقاصد الشرع وأحكامه، بل ما قاموا إلاَّ على جِهة مطالب النَّفس والمنفعة، وكان هذا الفعل يحقق خيراً في مآلاته للمسلمين، فإنَّ المسلم لا يُسمِّي هذا الفِعل شرعيَّاً من جهة، لكن من أُخرى يفرح له ويرجو لصاحبه الفوز، كما أنَّه يمكن أن يقوم مسلمٌ قد اجتهد في إصابة الحقِّ فأتى على وجه اجتهاده مع خطئه، فكان في فِعله تحقيق خيرٍ له ولغيره، فإنَّ المسلم لا يُعاديه، بل يتركه، مع إبقاء نُصحه وإيضاح حُكم الله تعالى فيه، وهذا بابٌ عظيمٌ يحتاج إلى حِكمةٍ لاجتماع الحسنَة والسيئة في بابٍ واحدٍ، وقد عُلم أنَّ الله تعالى يجري من الأقدار ما يحقق الخير لدينه وأهل دينه على كُرْهٍ منهم في أُمور، كما يدفع عنهم من الشرِّ بفعل غيرهم ومقاصدهم الكثير مما يُدرك بعضه ولا يُدرك أكثره، والنَّاس عموماً يتصورون تدافع أهل الشرِّ لتحقيق خيرٍ للضعفاء، لكنهم عريٌّ عن تصور تحقق الخير على يد البدعة والخطأ في الاجتهاد، ويشتدُّ الخطأ حين يظنُّ بعضهم أنَّ هذا القول تزكيةٌ للشرِّ أو البدعة، أو دعوةٌ إلى عدم بيان أحكامها في دين الله تعالى، ولو تفكَّر النَّاس في أقدار التاريخ لَوجدوا لذلك أمثلة كثيرة، ومنهم مَن يعكس الحال فيجعل ما يحصل من الخير دليلاً على شرعيَّة الفِعل، إذ أنَّ كثيراً من البدع يحتجُّ لها ببعض آثارها كما يحتجُّ للاحتفال بالمولد النَّبوي لما يحصل فيه من الخير.

وها هنا مسألة وهي تتعلَّق بالبدل، فإنَّ النَّاس في عمومهم لا يتركون أمراً إلا لآخرٍ، وإذا حقق الخطأ بعض الخير فإنَّ إزالته بالكُليَّة دون إبداله بالسُنَّة والخير قد يوقع الشرَّ المحض دون الخير المُلازم للأول، ولذلك يُعتنى بهذا الباب عند العقلاء والحكماء، وهذا يُقال اليوم لَّما قلَّ الخير، وعمَّت السيئة والبدعة، وغلب على النَّاس الجهل.

وتقعيد هذه المسألة في النفوس والأذهان يجيب على المسألة الحاصلة في الأذهان حول ما يحصل من الخير بسبب أهل البدعة، أو بسبب أفعال غير المهديين ممن تؤدي أفعالهم إلى مصلحة راجحة أو محققة لأهل الإسلام، فبعضهم ذهب إلى ذمِّها لخلوِّها عن مقاصد الأحكام الغائية، أي تحصيل العبوديَّة، وآخرون ذمُّوها دون النظر إلى البديل المحقق للشرِّ المحض من غلبة الكفار بدل أهل البدعة الخطأ، والواجب النظر إلى مآلات الفعل لأهل الإسلام، حتى لو خلا الفِعل عن الصحة الشرعيَّة المُعتبرة، أي الإخلاص واتِّباع السنَّة.

فالكافر يخلو حيناً عن إصابة الحقِّ ويخلو دائماً عن قصد العبودية، والمُبتدع في بدعته يخلو عن إصابة الحقِّ مع صلاح النيَّة، والنظر إنَّما يدور حول مصالح الشرع الكليَّة وموقف السُني حين يتحقق الخير من غير موارده الشرعية.

ولإنزال هذه القاعدة على فُروعها، وإعمالها في أبوابها المُعاصرة سيأتي في مواطنه إن شاء الله.

أما القضيَّة الكليَّة الأُخرى، فهي اختلاط الحسنَة والسيئة في بابٍ، فإنَّ هذه القاعدة يجب الاعتناء بها في هذا الزمان، فإنَّ طلب الطهر المُطلق والخير المحض في هذا الزمان أشبه بالمحال، والذين يسعون لتحققه في أنفسهم يسعنا أن نتركهم وشأنهم، فإنَّ النَّاس آحاداً لهم مقامات يُتركون لما يحسون من أنفسهم من طاقةٍ ووُسْعٍ، لكن لمّا كانت الشريعة لا تَعلُّق لها بالأفراد فقط إنَّما لها أحكام للكل

فإنَّها موضوعة لذلك، وهذا يقوله أهل الأصول كذلك كما أشار لذلك الإمام الشاطبي في «المُوافقات» حتى إنَّه قرر أُميَّة الشريعة[1] على معنى الضعف لِتَسع النَّاس جميعاً بلا استثناء، ولذلك من الجهل حمل النَّاس في أيامنا على ما كان عليه أهل الصدر الأول من انحسار الشرِّ وغلبة الخير المُطلق أو كاد، وهذا الباب معلوم عند الناظرين والباحثين، لكن يكثر فيه الخلط حين إعمال أفراده وجُزئياته، مع التنبيه إلى أنَّ بعض الناظرين يعلمه على وجه الخطأ والغلط، وذلك بتسمية الشرِّ خيراً، أو بمنعهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمجاورتهما في الحال، وهذا هو حال الأكثرين اليوم، فإنَّ العمل شيءٌ والعلم شيءٌ آخرٌ، ففي العِلم يجب البيان والتفريق والدعوة، وأما في العمل فيقبل الضعيف ويتسع الحال من أجل مصلحة الشريعة، وقد علم جواز إفتاء المُقلد حين ضعف الاجتهاد، كما جاز توليته القضاء، مع منع الجميع من ذلك لعدم دخول المُقلِّد في صفة العلماء، فالشروط تقل حين يعدم وُجودها، كشروط العدالة في الشهود، فلتحقق واقعيَّة الشريعة وعمليَّتها لابدَّ من النظر إلى حال النَّاس وما هم فيه من الحسنات والسيئات، مع بقاء قواعد العلم المُستقرة في تسمية الأمور بأسمائها، والدعوة إلى المثال الأول وهم الصدر الأول من الصَّحابة رضي الله عنهم.

وإعمال هذه القاعدة فيما نحن فيه يكون في الحُكم على حال الساعين لتحقيق بعض مقاصد الإسلام دون مقاصده العُليا، فإنَّ مقاصد الأُمَّة في وجهتها العمليَّة حين غياب الشريعة إعادة تحقيقها، لكن قد تقصر همَّة العاملين إلى دون ذلك، وقد يختلط فيهم شرٌّ وخطأ، فالعِبرة حينئذٍ الحُكم بوجهة الفِعل؛ هل هي لمنفعة الإسلام وأهله، أم أنَّها لخارجه، دون النظر إلى الأفراد وأحوالهم، ودون النظر

[1] انظر: «المُوافقات في أصول الشريعة» لأبي إسحق الشاطبي: ١/ ٣٧٩ وما بعدها.

إلى جُزئيات الفِعل، فالحُكم يجب أن يكون على الاتجاه الكُلِّي، والعقليَّة الذربَة هي التي تجزئ العمل أو العاملين لتغطي هذه الجُزئيات على وجهة العمل الكُلِّي، وهذا ما تفعله طوائف الطهر الكُلِّي ممن تسرقهم جُزئيات العمل أو سلوك العامل في غير الباب المحكوم عليه، كالنظر إلى تقواه الذاتيَّة وعدالته الشخصيَّة، وهذا أمرٌ منتشرٌ اليوم في طوائف، مع أنَّ الواجب النظر إلى كُلية العمل ووجهته العامَّة، ومن ذلك «الثورات» كما يُسمُّونها ضدَّ الطغاة، فإنَّ الحُكم عليها لا يكون بالنظر إلى أفراد مُطالبها، ولا أفراد العاملين فيها، لكن ينظر إلى وجهتها الكُلية في تحقيق مقاصد الإسلام، أو تهيئة البيئة لتحقيق مقاصد الإسلام كما تقدَّم في الكُليَّة الأولى، وبهذا يحكم على الفِعل حُسْناً وقُبْحاً، وعدم النظر إلى مقاصد الإسلام العُظمى وقصر البحث على جُزئيات الفِعل أو حال العاملين يوقع في الحُكم الخطأ، وقد انشغل الكثيرون بتعقُّب الجزئيات في حالٍ فأدى بهم الأمر إلى نصر الباطل يقيناً ضدَّ ما فيه من خيرٍ وشرٍّ، أو سنَّة وبدعة، وذلك كحال من - عادى - هذا «الحِراك» على الوجه الذي تقدَّم، ومُعاداة الضدِّ نصرة لضدِّه لُزوماً حين خلوِّ الحال من أحد أمرين لا ثالث له، هذا مع إمكانيَّة اتساع الحال لأهل الحقِّ في قيادتهم لهذا الحِراك لو فعلوا.



في هذه المُقاربة سأسعى إلى وصف أُصول هذا الحِراك كما أظنُّه وأحسبه، والوصف والتفسير يُصيب ويخطئ، ولكن لا يصحّ التخطئة إلاَّ بدليل، وليس بقاء الوصف والتفسير من غير إبطال تصحيحاً له، بل قد يغيب التفسير للنوازل القدريَّة، مع الاتفاق أنَّه لا نازلة بغير سببٍ، وأنَّ الأسباب ومُسببِّاتها من قدر الله تعالى، وهذا «الحِراك» و«الثورات» فاجأت كلَّ الناس حتى الساعين فيها، فإنَّهم

لم يأملوا تحقيق هذه الآثار، لكن كان من قدر الله أن تحقق فوق ما يؤمل الباحث والساعي، ومن المعلوم أنَّ باب الرحمة لا يكون إلاَّ للخير، وأما باب العدل فللشرِّ وللخير سواء، فما تحقق من الخيرات كان بحكم كل العقلاء من باب الرحمة فدل أنَّه خير للإسلام وأهله، وهذا أحد وجوه الحُكم على هذه النوازل والحوادث، فإنَّ النَّاس سعوا إلى بعض الخير فتحقق الكثير وفوق ما يُريدون، وحين يكون الأمر كذلك فإنَّ الحديث يدلُّ أنَّه في وِجهة الوعود الإلهيَّة بالنَّصر والتمكين، لكن ما سأُحاول الإبانة عنه أنَّ هذه الحوادث ليست بمعزلٍ عن طائفة الحقِّ وأفعالهم في بلاد المسلمين، وهو أمرٌ لن يُنازع فيه مدَّعٍ آخر، لكنَّ النافي موجود، وأمَّا المُنازع فمفقود بحمد الله تعالى، وهذا يكفي في هذا الموطن لإثبات قوَّة هذا الإدعاء، وهو أنَّ هذا الحِراك لم يكن لِيقع إلا بسبب طائفة الحقِّ والجهاد بفضل الله تعالى، ومن المعلوم أنَّ التحولات العُظمى في التاريخ البشري قد تُعلَّق على ظواهر هي عند الناظرين مجرَّد بدايات لا أسباب، كالذين يُفسِّرون الحروب الكونيَّة بظواهر ساذجة دون الوُلوج إلى أسبابها الحقيقيَّة، ونحن هنا نتعامل مع حدثٍ يرتبط بوثاقٍ شديدٍ مع حركة الإسلام وأهله، ويتعلَّق بالوُعود الإلهيَّة، ولذلك فإنَّ تفسيره بمعزلٍ عن حركة الإيمان وأهله يُوقع بمدارك الجاهليَّة ولا شكّ، والله عَلَّمَ أهل القرآن أنَّ الحدث الإيماني له أسبابه الغيبيَّة التي تلتقي مع الإيمان بوجهٍ لا يُدركه الجاهلون، بل هم في معزلٍ عنه، لغفلتهم عن أسماء الله تعالى وصفاته في الحب والكُره، والمكر والتدبير، والعطاء والمنع.

والعجب أنَّ مفسري الجاهليَّة ودهاقنتها كان لهم اتهام للإسلام وتصوراته في منع هذه «الثورات» وهذا «الحِراك»، ولم يكن ديدنُ قولهم إلا على هذا المعنى، وهو أنَّ الإسلام نفسه هو مانع الإرادات من التغيير، كما أنَّه صمام الأمان للطغاة، وذلك لما يرون من مشايخ الضلال والإفك وانحيازهم للشرِّ وأهله،

ولكن لَمَّا كان ما كان من حِراكِ الأُمَّة فإنَّهم خرسوا أن ينسبوه للإسلام وفاعليته، وهذا أمرٌ لا يُستنكر منهم، فهم خصوم الحقِّ وأهله، لكنَّ المعرة إنَّما تلحق مَن زعم انتسابه للقرآن والسُنَّة وهو يعجز أن يرى فاعلية الإسلام وأهل الحقِّ في حصول هذا الفِعل.



ومن أبواب هذه المُقاربة والتي لا يحصل الخير التامُّ أو الكثير إلا بوجودها دعوتي إلى أهل الإسلام إلى واجب الوقت، وهو لا يمكن الإطلالة عليه بوجه يُقارب الصحَّة إلا باستطلاع الآتي من الأحداث، وهي مع خفائها في عالم الغيب إلاَّ أنَّ لها بوادر ولمحات لا يكاد النَّاس يختلفون عليها إنْ صحَّت تفسيراتهم لهذه النوازل، فمَن رأى فيها وجه الشرِّ فهو لما بعدها من الحوادث أبعد إدراكاً وفهماً، ومن كان على الوجهة الصحيحة فيها؛ وهي أنَّها مقدِّمة للوعود الإلهية سيجتمع مع قائل هذه النصائح في مهيع واحدٍ بلا خلاف إن شاء الله تعالى، فإنَّ المسلمين مع اختلاف اجتهاداتهم لهم وجهة واحدة، وهي تحقيق مقاصد الإسلام بالعِزَّة والتمكين وتعبيد النَّاس لربِّهم، والوقائع تدلُّ على أنَّها مُوطئة للخير سواء بإزالة الغربة أو بإضعاف الباطل وتقوِّية الحقِّ، وهذا أمرٌ عظيمٌ لمن عَلِمَ حال الإسلام وأهله في البلاد التي حصلت فيها هذه «الثورات»، إذ صار للنَّاس متسعٌ للدعوة والبلاغ والحركة، ويبقى إحسان الفِعل ليحصل المُراد بإزالة الغُربة ودعوة الإسلام وتحقق وُعُوده المُنتظرة لأهلها العاملين لها، ولذلك جاءت بعض الكلمات على وجه السرعة والنقر لتهدي أهل الحقِّ إن شاء الله تعالى إلى سلوك الطريق القويم في هذه المواطن حتى يتم حمل هذه الوقائع إلى مواقع متقدمة لتحقيق الوعود الإلهيَّة بالنَّصر والتمكين، وهذه الكلمات لا يمكن أن تحصر الخير

فتمنعه من سِواها من الأعمال، فإنَّ الحال يتسع إلى كثير من الخير والطاعة والإحسان، وقد عَلِمَ الجميع أنَّ الميدان قد صار مفتوحاً في هذه الأقطار، فقد زالت الكثير من الموانع، وقد تحقق ما كان يسعى إليه رسول الله ﷺ وهو يقول: «**خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ النَّاسِ**»[1]، مع ما تحقق من انحسار المناهج الشركيَّة وذهاب تأثيرها عن الأُمَّة، فالواقع يدلُّ على مساحة خلق إمام أهل الحقِّ، وقد فكَّ أسر النَّاس وانطلقوا بين أهلهم وأُمَّتهم مع رصيدٍ من القبول والحُبِّ والثقة، وهذا عند المُخلصين حمل وتكليف ربَّاني سيُسألون عنه إنْ فرَّطوا فيه وقصَّروا عن استثماره، فالميدان واسعٌ رحبٌ، والأُمَّة بين يدي الدُّعاة، وقد خلي في هذه الأقطار بين الدُّعاة والمساجد، وبين النَّاس والمساجد، وفُتحت أبواب الخير التي تسمح باللقاء والتجمع والتدبير، وإنَّ من الجهل والإفساد في الأرض الدخول في الصغائر والخصومات والانشغال بأنفسنا عن النَّاس، وهذا للأسف سيقع من الصغار الذين يُفسدون ويحسبون أنَّهم يحسنون صُنْعاً، تحت دعوى تنقية الصفِّ أو كشف التاريخ، فالعمل مع الأُمَّة وللأُمَّة وفي الأُمَّة لو خاض فيه المرء بإخلاصٍ سيكون في غنىً عن نبش القاذورات، والتي ستضره هو قبل غيره، فالحبُّ هو الذي يسع النَّاس ويحببهم في أهل الدعوة، وهو باب جلب المُهتدين، وأما نبش الخُصومات والمُنازعات فهو حفر تحت الأرجل ونهايته أن يردم المرء في حفرته بعد ذلك، فعلى الدُّعاة أن يعلموا أنَّ هذا وقتهم، وأنَّ الآتي يُوجب عليهم التحضير والإعداد، لا على وجه النُخبة والجماعة كما كان الحال في الفترات السابقة، بل على مستوى الأُمَّة، وهذا يُوجب عليهم فتح باب الإبداع والاجتهاد في وسائل الربط بعيداً عن شعارات خاصة صغيرة، سواء ما كان منها على مُستواه العلمي كالسلفيَّة وغيرها أو على مُستواه العملي كاسم حزبي أو

[1] «مسند أحمد» للإمام أحمد: ٥/٤٢٣/حديث: ١٨٥٥٥. من حديث المسور بن مخزمة الزهري ومروان الحكم.

تنظيمي، فإنَّ الواقع دلَّ أنَّ الأُمَّة في قضاياها الكُلية لا يسعها هذا الضيق من الشعارات والتجمعات، فمشروع الدعاة القادم هو مشروع الأُمَّة التي تتحقق بها الوعود الإلهيَّة، فالخطاب القرآني والسني في هذا الباب لا يقع لجماعة ولا لطائفة لكنَّه يُواجه أُمَّة محمد ﷺ جميعها، وسيجد الناظر أنَّ آلاتي - هذه الوعود الإلهيَّة القادمة - ستتجاوز كلَّ الأسماء والشعارات، بل سيدخل كلٌّ في داخلها إلاَّ مَن فَقَدَ الإخلاص والعقل والهُدى، ومع ذلك سأجدني مُضطراً تحت علمي بجهالات بعضهم القول: «إنَّ هذا لا يلغي الحالة العِلميَّة بالتقويم والنصح والإصلاح».

ولذلك من الاستشراف القول: إنَّ المرحلة القادمة ستشهد تحدياً لكلِّ الجماعات والشعارات وقُدرتها على استيعاب الأُمَّة، لا على معنى الجهل القابع في أذهان بعضهم؛ أي لحوق النَّاس بأحزابهم وشِعاراتهم، ولكن بإلغاء هذه الأُطر حين تُواجه الأُمَّة الأحداث والفِتن والصِّعاب، فتصبح قضايا الإسلام العُظمى هي قضايا الأُمَّة بأسرها.

في الختام: هذه كلماتي أُخرجها للنَّاس، مع علمي بخطرها على نفسها، فإنَّ كلَّ ما فيها مُقاربة للحقِّ، أُحاول فيها التسديد قدر الاستطاعة، تجرأتُ أنْ أقولها مع علمي أنَّها قد تنقض كلُّها من أساسها بالوقائع اللاحقة، فيتبيَّن النَّاس أنَّ هذا «الحراك» ما هو إلاَّ حمل كاذب قد انتهى إلى هواء، لا على ما أقول: إنَّه بداية الوعود وزوال الغُربة الثانية، وهذا أقوله على جهة التنزل، وإلا فإنَّ ما جرى ويجري هو أمرٌ عظيمٌ، فالحياة تداول، وقد آن التغيير والانتقال بين الإسلام المبسوط بين المشرق والمغرب وبين خُصومه المحيطين به، والذين كانت لهم الدورة السابقة، وقد ذهبوا بها إلى نهايتها، فدبَّت عوامل الفناء والذهاب بكلِّ أطنابها الخلقيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة فيهم، وكل يحاول التدارك لا يتحقق لهم إلا

التسكين والترقيع، فإنَّ الداء في الجذور، ثم سرى إلى كلِّ الفُروع، وإنَّ عوامل الحياة منذ أن بدأت طلائع الجهاد تثبت نفسها في أمكنتها، فلم تعدْ مجرَّد لمحات إيمانيَّة تُومض وتذهب، بل نمت إلى حقيقة تنمو وتمتد وتتجذر عِلْماً ورجالاً وتمكّناً، أقول إنَّ عوامل الحياة في هذه الأُمَّة بدأت تعود إليها، والجمر إنْ ضرب في مكانه أثار وأنار وأحيا، فالحمل الكاذب يكون إنْ أتى على غير وجهه السُنني، وفي غير موطنه، ومع غياب أسباب الحمل الحقيقي، وكلُّ هذه غائبة عن مشهد الأُمَّة، فإنَّ الآخر ذاهبٌ إلى الغُربة والزوال، والأُمَّة تتنفس حقائق مع إدراك حقائق كانت في البُعد عنها أهمُّها أنَّ الصعود يبدأ بالتطهير، ولا يمكن وقوع هذا إلا بإزالة طوائف الردَّة من جُذور التمكُّن والحُكم والقَرار، والأمر هنا حديث عن طوائف لا أشخاص، ولذلك ما أن يزول الطاغوت حتى يُدرك أهل الإسلام أنَّ المعركة القادمة مع طائفته، وهذه بعد زوال الطاغوت هي مجرَّد مسير إلى الهدف ليس فيها المُعاناة التي تكون في البدايات، ولكن يجب تواصل المسير وعدم الاطمئنان على المواقع الآتية، فالسكون موتٌ وزوالٌ كما قال رسول الله ﷺ: «**مَا غُزِي قَوْمٌ في عُقْرِ دَارِهِم إلاَّ ذلوا**»[1].

ثمَّ لِيَكُنْ ما يكون بعد ذلك فإنَّ الحقَّ واحدٌ، ولكنَّه لا يتحقق في الأرض إلاَّ بإبداع وسائله المُلائمة للواقع، وهذه الورقات عاملة للفهم وإجابة بعض الأسئلة والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد.

والحمد لله ربّ العالمين.



[1] الصحيح أنه قولٌ لعليٍّ رضي الله عنه.

في البدء:

اقــرأ

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾ [القصص: ٨].

الأُمم محكومة بتصوراتها ومفاهيمها، سواء من جهة ما يقع لها أو ما يقع عليها، فالإنسان وظروفه محكومان بالإيمان، وهذه قاعدة قرآنيَّة جليلة مبثوثة في آيات عديدة، بل كانت هذه القاعدة هي إحدى المعاني الأولى التي يلقيها الأنبياء على أقوامهم، والآثار لا علاقة لها بالأماني كما قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النساء: ١٢٣ ـ ١٢٤]. ويقول تعالى: ﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النجم: ٢٤ ـ ٢٥]، فالسُنن هي التي تحقق آثار الفِعل لا مجرد المعاني والأماني، فالتصور حاكمٌ على الفِعل، والفِعل هو الذي يحقق الآثار والنتائج، وقراءة الأحداث بعيداً عن تصورات الأُمم خطأ في البحث والنظر، كما أنَّ الطفرة وإنْ بدتْ للمُراقب إلاَّ أنَّه لا حقيقة لها في نفس الأمر، والتفسير الإيماني للتاريخ ووقائعه هو منهج القرآن والحقِّ، لا يحيد عنه إلاَّ الجاهلون والضالون وهو إحدى محاولات الجاهليَّة في تغييب المشيئة الإلهيَّة لأنَّها مناط الحُبِّ والبُغض، ومن المعلوم أنَّ أُمَّة محمد ﷺ لها خاصيَّة النظر الإلهي لأنَّها أُمَّة العدل والوسط والخيريَّة، ومهما حاول الجاهلون صرف آثارها عن الوجود وحركته بعد بعثة محمد ﷺ إلاَّ أنَّ كلَّ منصفٍ يرى أنَّ عموم حركة الوجود

مقرونٌ بعزَّة هذه الأُمَّة أو ضعفها، فهي المُقابل في كفَّة الميزان في صعود الآخرين أو هبوطهم، وخاصيَّتها هو تقديمها القيم للآخرين حتى في وقت ضعفها وتراجعها، وكون هذه الأُمَّة منتخبة باصطفاء نبيِّها ﷺ وبما فيها من الخيريّة على سائر الأُمم يعني أنَّ أحداثها مُرتبطة بالإيمان، ولذلك هي أُمَّة مرحومةٌ[1] كما قال ﷺ، ولا يدري الخير في أولها أم في آخرها، فأحداثها ووقائعها لها وشائج بالإيمان وحركته، وكلُّ تفسير لنوازلها خارجَ إطار الإيمان وأعماله هو ضَرْبٌ من ضُرُوبِ الجهل وفيه الفراغ والباطل.

ومن المعلوم أنَّ الأُمَّة في أعمالها الكُلية لها اتجاهان خارجي وداخلي، **أما الداخلي** فهو واجبها بالأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر وكلُّ ما يدخل فيه من فروع وجُزئيات كالحِسبة، **وأمَّا الخارجي** فهو واجبها بالدعوة والجهاد، فهذه أعمال مجموع الأُمَّة، وقد فرض الشارع هياكل وطوائف لتحقيق هذين الأمرين كالإمامة كما في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. ومِن المعلوم أنَّ تشريعَ حُكْمٍ لقضيَّته يعني شرعيَّة القضيَّة، فأمره سبحانه بطاعة أُوْلي الأمر يعني شرعيَّة تنصيب أُولي الأمر، وكقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢].

[1] أخرجه أحمد في «المُسند»: ٥/٥٥٨/حديث رقم: ١٩٢٨٧، ٥/٥٦١/حديث رقم: ١٩٣٠٥، ٥/٥٧٤/حديث رقم: ١٩٣٧٩. وأبي داود في «سننه» باب ما يُرجى في القتل: ١١/٣٥٨/حديث رقم: ٤٢٧٦. كلاهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. وأخرجه أيضاً ابن ماجه في «سننه» من طريق أنس بن مالك رضي الله عنه: ٢/١٤٣٤/ حديث رقم: ٤٣٨٤.

وقد نشأ فقهٌ إسلاميٌّ لتحقيق المُوازنة بين الفِعل نحو الخارج والفِعل إلى الداخل، وهو سبب بحث الخروج على الأئمة، خاصَّة أنَّ هذا بابٌ تختلط فيه مقاصد الشرع مع الأهواء، وقد تتخفى الأهواء بالمقاصد الشرعيَّة، فينشط النَّاس ضدَّ الأئمة إصلاحاً كما يزعمون فتتعطل مقاصد الإمامة بهذا الخروج سواء بحركتها نحو الداخل كحماية البيضة وتحقيق الوحدة وعدم الخلاف وإقامة الأحكام أو بإقامة الجهاد والدعوة، ومن أجل هذا آل أغلب أهل العلم إلى عدم شرعية الخروج على الأئمة حين تكون الدوافع النظر إلى شخصيَّة الإمام وأفعاله في نفسه فكان هذا سبب الخروج كثيراً، أو كان بسبب تقصير في مقاصد الإمامة مع بقاء الأصل، ومن المعلوم أنَّ هذه القضايا كالخروج مبناها في الأغلب على المصلحة المظنونة، وهي تُعلم بالاستقراء القائم على التِكرار، لكن لما غابت الإمامة كُلياً عن معنى الشرع كان هذا مُوجباً للعقلاء والعلماء النظر إلى حُكْمٍ آخرٍ، إذ الأحكام معلّقة بعللها لا بمجرَّد الأسماء فقط، لكن كان للمشايخ حال آخرٌ مع هذا الواقع الجديد، فسحبوا اجتهاد الأقدمين على حُكام لا تقوم بهم مقاصد الإمامة على أي وجهٍ من الوُجوه، ولا يتحقق بهم خير لا للأُمَّة في داخلها ولا في خارجها، فعطّل الشرع كُلِّية، وكان من المُصيبة الأكبر أن بلعت إمامة الردَّة هؤلاء المشايخ إلى داخلها فصاروا منها وحُماتها ورجالها، والنَّاس في هذه الأُمَّة تبعٌ لأئمتها ومنهم العلماء، حتى لو قُلنا أنَّ ارتباط الأُمَّة بالعلماء صار ضعيفاً، لكن لا يعني هذا قوَّة آثار سلوكهم ومواقفهم على مجموع الأُمَّة، فالأُمَّة تنهض كما تقدَّم بدافع تصوراتها ومفاهيمها، مع حاجة هذه التصورات والمفاهيم إلى مثال ينشِّط الإرادة بالفِعل والحركة.

ولذلك كانت الفتاوى بمفهومها الشامل الذي ولج إلى مؤسسات أُخرى قرينة بها مِن حَمَلَةِ العِلْمِ والكلمة مع مواقف أصحابها دليلاً لدى أكثر الأُمَّة للاتِّباع

والانقياد إلى الوجهة الحادثة، فكان الركون إلى الظالمين والدخول في طوائفهم، وفي الحديث الشريف كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوساً جُهَّالاً فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[1]. فجعل رسول الله ﷺ سبب الضلال والإضلال الفتوى الجاهلة، وهذا سببٌ من الأسباب بل هو رأسُ الأسباب في غياب إرادة الأُمَّة عن تغيير أئمة الكُفر والردَّة، مع التقاء هذا السبب مع حُبِّ الركون والدعة والرغبة في الدنيا والخوف من الموت والابتلاء، وكان هذان العاملان يترجمان في حس النَّاس بأمثلة النظر إلى أهل الفتوى، فما أن ينزع أحدهم للخروج من نظام القطيع ويُعلن براءته حتى يجلد بفتوى جاهلة وبنموذج مُتخاذل، يسلّط عليه من أهله وأقرانه ومجتمعه، ولم يخرج من سطوة هذا النظام؛ أي القطيع إلاَّ بعلمٍ خاصٍّ وبإرادةٍ مُتحفِّزةٍ، ولم يكن أصحاب هذا الخروج إلا طائفة الجهاد كما هو مشهود لدى الُمنصف والعادل، فقد عُلِمَ أنَّ كلَّ الطوائف بلا مثنوية لا يرون الخروج ولا يقدُّمون نماذج الشهادة في هذا الباب، والمحسن منهم خطوة إلى الإمام هم دعاة إصلاح الوجوه مع سلامة الهياكل وعدم تحطيمها.

إنَّ منطلق هذا الحِراك كان بعاملين: **العلم والإرادة**، **فأمّا العلم** فهو إسقاط شرعيَّة هذه الأنظمة، وأنَّها فساد من أُسِّها لقدمَيْها، ودعوات الإصلاح هي دعوات مُقوِّية لوجودها، لأنَّ نهر القاذورات لا يصلح لصبِّ الماء على حوافه، وقد كان هذا العلم محارباً من كلِّ الطوائف، وعلى مُستويات مُتعددة، حتى تلك

---

[1] «صحيح البخاري» باب كيف يُقبض العلم؟: ١/٥٠/ حديث رقم: ١٠٠، واللفظ له. «صحيح مسلم» باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفِتن: ١٩٢/١٦/ حديث رقم: ٦٧٤٧. كلامهما عن عبد الله بن عمرِو بنِ العاص رضي الله عنهما.

الطوائف التي كانت تكيل للأنظمة صفات الخراب السياسي والعمالة والفساد فإنَّها لم تكن تجرؤ قط على رفع ردَّة وكُفر هذه الأنظمة، وهي الأوصاف الشرعيَّة الوحيدة التي تحقق شرعيَّة الخروج والإزالة من الجذور بلا خلاف، وأهل الدعوة إلى عدم شرعيَّة هذه الدعوة قد تحمَّلوا الكثير من جهالات المُخالفين، مع ما سيأتي من هؤلاء المُخالفين الذين هم أكثر استفادة اليوم من سقوط هذه الأنظمة المرتدة.

وقد أثبتت طوائف الجهاد بتأصيلاتها الشرعيَّة أنَّها الحقُّ، وأنَّ المُخالفين إنَّما تجري طرائقهم على المنفعة دون النَّظر للحقِّ في أصل وضعه الإلهي، ولو صحت مقالاتهم لما رقصوا فرحاً بسقوط الأنظمة، ولما أطلقوا عليها بعد زوالها تلك الأوصاف التي سبُّوا أهلها واتهموهم بالغُلو والخارجيَّة، لكن دلَّ هذا أنَّ جماعات العمل الإسلامي بل المجاهدة محكومة بالظفر والغناء لا اتباع الحقِّ والدليل، ولذلك هم عُرضة لاتهام الزنادقة من العلمانيين أنَّهم غير محكومين بالمبادئ.

وقد يحتجُّ لهم بأنَّ العمل والحِراك محكومٌ بالمصلحة وغلبة الظفر والنَّصر، فلِمَ يستنكر عليهم الخلافات في التقدير بين حالين؟.

الجواب: أنَّ المسلك في الخلاف ليس تقدير المصلحة والظفر، بل الخلاف أساساً حول الوصف الشرعي المُلائم لهذه الأنظمة، فلم يقلْ أحدٌ من هؤلاء بردَّتها، بل هي عندهم مسلمة مخطئة، ومن كان هذا حاله عندهم فسبيل السلوك معه هو النصح فالإصلاح، ثمَّ إنَّ هؤلاء كان نكيرهم أشدَّ وأقوى في باب جهاد وقتال هذه الطوائف، وكانوا يرون أنَّ العمل المُسلَّح ضدَّ هذه الأنظمة هو الجهل والضلال والغُلو، ثمَّ لَمَّا كان ما كانوا الأعلى صوتاً في تسليح النَّاس ودعم القتال والجهاد ضدَّها، فما عدا مما بدا؟.

وهذا يُنبئك ـ إنْ أنصفتَ ـ أنَّ حَمَلَة الجهاد والبلاء هم الأسعد في سلوك سبيل الحقِّ منذ الابتداء، إنْ كان هناك أثرٌ لِعِلْمٍ شرعيٍّ في حِراك الشعوب ضدَّ طواغيتها فإنَّ أهله هم من دعا إلى إسقاط الشرعيَّة عن هذه الأنظمة، والحمد لله الذي تتم برحمته الصالحات.

وأهل الجهاد والبلاء اليوم لا يطلبون مِن أحدٍ رفع راية الإنصاف، والاعتراف بنسبته الفضل لأهله، لكنَّ قول هذا تحدُّثاً بنعمة الله تعالى، لا يهمُّنا المُخالف حتى لو جهل وظلم وتعدى، فإنَّا خبرناهم في هذا الباب فلم نرَ منهم نوع إنصاف في هذا الباب، فإلى الله المشتكى.

والمُخالف كما تقدَّم لا يُنازع في نسبة الفضل له، لكنَّه يخالف فقط، إذ قد يزعم أنَّ نسبة الحِراك إلى طوائف الجهاد إبعادٌ للنجعة، فيُقال له: هبْ أنَّ قولك مصيبٌ، وهو عدم تأثر النَّاس وجماهيرهم بفتاوى طوائف الجهاد والبلاء، لكن هل لك أن تخالف أنَّكم كلَّكم صِرتم إلى نفس المَهْيَع[1] والوادي الذي عليه هذه الطائفة في الحكم على طوائف الحكم بغير شريعة الرحمن؟.

ومما يدلُّ على تعنتِ وظُلم المُخالف وفرحهم بأنْ لا يُنسب الفضل في هذا الباب لأهله هو صُراخهم أنَّ مسالك النَّاس في التغيير لم تكن هي عين مسالك أهل الجهاد من القتال والعمل المسلح، وهذا قالوه لما كانت البدايات، حيث سقط طاغوت أو اثنان، وما أنْ جاء الأمر إلى ليبيا أو سوريا حتى اندحرت الدعاوى الباطلة في جُحُورِها، وصار أشدّ دُعاة الحِراك السلمي هم أشدّ دُعاة حملة السلاح والقِتال، هذا مع أنَّ هؤلاء جهلوا طُرق أهل الجهاد في التغيير، فإنَّ هذه الطوائف تُعلِّق أمر التغيير على الغلبة، وهم يقولون أنَّ لا تغيير يقع دون

[1] أي: الطريق.

حصول الغلبة بالشوكة، وكان الأمر في البدايات محققاً لهذا الأمر بجلاءٍ لمن تفكر فيه، فإن التغيير الأولي ـ ونقول الأولي لأنَّ دفتر المُدافعة والبلاء ما زال مفتوحَ الصفحات بين المسلمين وخُصومهم من المُرتدين والزنادقة ـ، نقول: إنَّ التغيير الأولي لم يكن لِيقع إلاَّ بانقلاب الشوكة إلى أحد الصفين، ولمَّا لم يقع هذا في بلاد أُخرى كان لابدَّ من الجهاد والسلاح والمُدافعة، فأيُّ أمرٍ إذا في عين المُنصف ينقض منهج المجاهدين ومسالكهم في النفير؟.

وها هم النَّاس ذهبوا واجتهدوا، وصبروا على الظُلم والفساد كما دعاهم المشايخ وأصحاب الدعوات الإسلاميَّة دون طائفة الجهاد فلم يصلوا إلاّ إلى طريق المجاهدين ومسالكهم ودُرُوبِهم، وصار دُعاة الإصلاح السلمي هم حَمَلَة الجهاد في بلادهم ومسعرُو الحروب لشعوبهم، وهذا أمرٌ لا يُغْضِبُ إلاَّ صاحبَ الهوى، وأفرح النَّاس به هم المجاهدون، حتى لو ظَلَمهم هؤلاء ولم ينسبوا الفضل لأهله، لأنَّ همَّ الإسلام هو مقصدهم، وشعارهم ما قاله إمام السنَّة محمد بن إدريس الشافعي: «ودِدْتُ أنَّ الخلقَ يتعلّمون هذا العلم ولا يُنْسَبْ إليَّ منه شيءٌ»[1]. كما أنَّهم منذ البدايات عَلِمُوا أنَّ أمرهم مع هذا الطريق هو حال الأنصار، فهم أهل البلاء، وستكون الثمرة لغيرهم، ويكفيهم لقاء رسول الله ﷺ على الحوض، وشعارهم: رضينا ربَّنا، رضينا ربَّنا.

أما الأمر الآخر الذي لا يُنازع فيه، وإنْ خالفَ مخالفٌ، فإنَّ هذا الحِراك كان يحتاج إلى المثال، وليس مجرد الشرعيَّة، والمثال هو دافع الإرادات الثاني عند البلاء والتضحية، فإنَّ المثال الوحيد الذي كان يحقق تنشيط الإرادة في جموع الأُمَّة في وعيِّها الباطن هو مثال المجاهدين وتضحياتهم، فإنَّ الله يسَّر من الوسائل

[1] «حِليَّة الأولياء» لأبي نُعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحق الأصبهاني: ٩/٧٦. وانظر أيضاً: «تذكرة السامع والمُتكلم»: صفحة ١٩.

الكثيرة التي تحقق نشر عرف الطيب الحسن للمجاهدين في هذا الميدان، واستطاعت طوائف الجهاد كسر حلقات الظُلم والتعتيم التي يمارسها الطغاة ضدَّ المجاهدين، وأوصلوا أخبارهم إلى عُقر البيوت، وحرم المُخدرات، وصارت أخبارهم حديث سمر البيوت سراً وخفاءً بفضل الله وحده.

فكانت أخبار المجاهدين في مواطن البلاء وقود إرادات النَّاس للتغيير، فانبعثوا مع هذا المثال والنموذج، وهذا الحِراك هو حِراك أُمَّة مسلمة بمجموعها واتجاهاتها، وهم لا ينقادون في هذا السبيل إلا لنماذج إسلاميَّة عظيمة، وخاصة أنَّ طوائف الجهاد قدَّمت نماذج تحقيق النَّصر على الطواغيت الكبار فكسرت حواجز الخوف والرهبة، وذهبت مخاوف الفشل، وكلُّ الناظرين كان عجبهم في هذا الحِراك هي روح الإقدام والتضحية، وهي مع إقرار الجميع أنَّها بعث ربَّاني عظيم، لكن كانت مُنطلقات هذا البعث هي أخبار طوائف الجهاد بحمد الله تعالى، وسبل الآخرين في عُرْيٍّ عن هذه الدعوى، ولا يستطيعون قط مُنازعة طوائف الجهاد في هذه الإمامة.

وهذا الباب من الدعوى لا يهمُّنا قط خلاف المُخالف فيه، فليس همُّنا كما تقدَّم المُنازعة على الغنائم الحاصلة من هذا الحِراك لكن هو من باب ردِّ الفضل لأهله، وهو باب يُعاني الغُربة بين أهل الإسلام، وأمر التضحية والفداء كان من أسباب منع المشايخ للشباب من الإقدام على سُبل الجهاد، وكان يُعدُّ إذهاباً للنَّفس وتحقيقاً لمفسدة هلاكها، والعجب أن تنقلب التصورات بعد ذلك، فلا يعد الدمار الذي ألحقه الطغاة في سوريا وليبيا مفاسد جهاد بل هو عندهم ضرورات جهاد لا تأتي الثمار بدونه، وهو أمرٌ صرخت به طوائف الجهاد، وسُبّت واتُهمت بهزائم ثم صاروا إلى مسالكهم وسبلهم، ولذلك يُقال هذا الكلام اليوم حتى يُنسب الفضل لأهله أولاً ثم من أجل بيان فساد أحكام القوم،

وأنَّ الأدلَّة الشرعيَّة هي آخر ما يحتجُّ بها عندهم، بل هم أسراء الظفر والغلبة والقوَّة، فالحقُّ لا يتبع عندهم إلاَّ مع الغنى والسلامة والظفر، وليس في وقت البلاء والمُقدمات.

بقي للمُخالف مقال في ردِّ هذا التفسير، وهو أنَّ مطالب طوائف الجهاد تحكيم الشريعة ودفع صولة المُرتدين والمُفسدين، والنَّاس لما قاموا بحِراكهم لم يكن في مطالبهم لقاء مطالب طوائف الجهاد؟.

فيُقال للمُخالف: إنَّ الوعيَّ الاجتماعي لمجموع الأُمَّة أكثر تقدُّماً من وعيِّ هؤلاء المُخالفين، وقد رأينا كيف كان التوقيت في الحِراك دولة وقطر وراء قطر، ولو قيل للمُخالف فسِّر لي هذا ، لَوجدَ أنَّ الجواب الوحيد هو الوعي الاجتماعي لدى بُسطاء النَّاس أكثر تقدماً من وعيِّ الجماعات السياسيَّة وقادتها، فهؤلاء يعلمون سيرورة الأحداث، وأنَّها لا تجري دفعة واحدة، والمُخالف نفسه قال: إنَّ النَّاس لا همَّ لديهم سوى رغيف الخبز، فلا حريَّة ولا كرامة، بل شطَّ بعضهم ودفع بقضية عظمى تعيش في حنايا الأُمَّة وهي قضية فلسطين، وسخر بأنَّ الأُمَّة لم ترفع شعارها في حِراكهم، وهؤلاء المُخالفون لا ينتظرون المآلات، وهي لما بدتْ معالمها حين انحازت الجُموع للإسلام ما ترك لهم حريَّة الاختيار فيما يُسمى الانتخابات جعلوا هذا من باب استغلال طوائف الإسلام لحِراك النَّاس، لا بأنَّ النَّاس إنَّما قاموا من أجل معاني عظيمة في نفوسهم، هي عندهم بصفتهم أهل الإسلام لا تُصنع إلاَّ منه، ولا تتحقق إلاَّ بإرثه في نفوسهم.

وما قِيلَ عن مطلب المجاهدين وشعاراتهم يُقال عن قضايا أُخرى كالقضيَّة الفلسطينية وغيرها، وبوادر الأُمور تدلُّ على اختزال الوعي الجمعي في الأُمَّة لهذه القضايا، وأما تفسير الجاهلين أنَّ طوائف الإسلام تستغل الحِراك لا تصنعه، فهذا من الجهل والضلال كما تقدَّم، فإنَّ هذه الأُمَّة لا تنبعث إرادتها إلاَّ بقراءة

القرآن، ولا تسير إلى معاني الرحمة إلاَّ به، ولا يستقر في وِجْدَانُها إلاَّ أمثلة الفداء وقول الحقِّ من العلماء والمجاهدين، وأما ما يراه بعض الناس انحيازاً إلى طوائف العمل السياسي دون العمل الجهادي فهذه قضيَّة أُخرى يأتي شرحها في استشراف المستقبل الذي يتوقعه كاتب هذه الورقات.

والمُخالف قد يجهل الوسيط المُباشر بين هذا الحِراك وبين طوائف الجهاد عِلْماً وعملاً، لكن حين كان القصف الجاهلي ضدَّ الإسلام وعُلُومِه بأنَّه سبب الخُنوع، وأنه هو صانع جينات السكون والدعة وقبول الباطل، مع أنَّ مقالاتهم عاجزة عن ربط الخُنوع الطويل ومعالم الإسلام ومعانيه، ولم يكن يُدرك هذا الربط ـ أي بين قيم البدعة من جبريَّة وإرجاء وبين الخُنوع ـ إلاَّ طوائف الجهاد دون سواهم، لأنَّ الوعي الجمعي لا يتحقق بأثرٍ سريعٍ، ولا بكلمةٍ ولا بخطبةٍ، بل يُبنى على نارٍ هادئةٍ، تسير حرارتها على وجهٍ خفيٍ ضعيفٍ، حتى إذا تجمعت لم يُدرك النظر القاصر مبعث هذا الوعي ولا مصدره.

نعم إنَّ الركون تُبنى معالمه العلميَّة الجاهليَّة والعمليَّة الخانعة من خلال زمنٍ مع تتابع المُؤثر، وليس خطبة واحدة، ولا بموقفٍ واحدٍ حتى يُقال: كان هذا المحرك دون سِواه، ولذلك فإنَّ ما حقق إرادة الفِعل هو آثار يسيرة تجمَّعت ولا يمكن لأحدٍ أنْ يزعم أنَّه صاحبها إلاَّ مَن وافقَ الفِعل عِلمه الداعي إليه، وهذا لا يدَّعيه أحدٌ إلاَّ طوائف الجهاد دون سواهم، فالمُوافقة العِلميَّة والعَمليَّة بين آثار هذا الحِراك وبين معالم طوائف الجهاد لا يُنازع فيها إلاَّ حاسدٌ أو جاهلٌ.

أمَّا أنَّ هذا الحِراك والفِعل قضى على ذخيرة أهل الجهاد، وأسقطَ مزاعمهم في تمثيلهم لحبِّ النَّاس وتعاطفهم، والعجيب أن يُقال هذا اليوم، لأنَّ الزاعم هذا لم يكن يعترف بحبِّ الأُمَّة للمجاهدين، فما الذي جعلَ الأمرَ ينقلب إلى مقالة أن النَّاس قد صرفوا عن أهل الجهاد وحبهم؟ هذه تُبيِّن أنَّ القوم أهل جهل وحسد

وفقط، أما الجواب على هؤلاء فيُقال: إنَّ أهل الجهاد والبلاء ما قاموا إرضاءً للبشر، ولم يسلكوا سُبل الشهادة حتى يتصدّروا ويرتقوا على رِقاب النَّاس، لكنَّهم علموا دين الله على وجهِ الحقِّ، وقرأوا الواقع على وجهِ الصِّحة، فبانتْ لهم طريق الجنَّة، كما بانَ لهم طريق الإصلاح والتغيير، فسلكوا السبل مع مشقتها وآلامها ودمائها وعرقها، وكان همُّهم وما زال أن تحقق أعمالهم جذوة اشتعال الأُمَّة ليتحقق التغيير، والذي أعلمه منهم أنَّهم قد وطَّنوا أنفسهم طلائع الشهادة لحياة الأُمَّة، وليقودها بعد ذلك اللاحقون، حتى لو كانوا خصوم الأمس في باب الجهاد، إذ مقاصدهم في الأمر هو خير الأُمَّة في دينها ودُنياها، ومَن عاش منهم بعد المحن فهو يُقلِّب نظره كيف فاتته الشهادة وقد قذفَ نفسه مواردها، لا فرق بين قادة وأتباع، فكيف يُقال: لقد سرقت الأُمَّة منهم؟ إنه والله لَقول الزور والبُهتان.

أما جماعات العمل السياسي التي ظنَّت انحياز النَّاس إليهم دون طوائف الجهاد، فصفَّقوا أنَّهم خيار المسلمين دون غيرهم، فيُقال لهم جواباً الكثير، وسيُقال بعضه في تالي الحديث إن شاء الله تعالى، وهم والله لا يحسدون على ما هم فيه، بل هم في بلاءٍ عظيمٍ، وسيرون في تالي الأحداث أنَّهم في اختيارٍ بين الوصول جُمْلَةً إلى معالم المجاهدين أو زوال ما خُلِّفوا به، وأما شرح هذا ففي الاستشراف كذلك إن شاء الله تعالى.

ويُقال للجميع: إنَّ شرارة أهل الجهاد التي حققت العِلم والعمل لحِراك الأُمَّة قد ذهبت في أُتُونِ المحن ولم يبقَ إلاَّ الأثر، ومن ورَّثَ معالمه لم يذهبْ، ومَن حقَّقَ مقاصده لم يفشلْ، فإنَّ مقاصد المجاهدين في أعلى أمانيها لم تكن تحلم تجنيد العشرات، فما أن هبتْ رِيَّاح الحِراك حتى دخل الآلاف، بل أُمَّة تِلْوَ أُمَّةٍ بفعْلِ الجهاد والتغيير، وجهل هذه القراءة مرده الوهم أنَّ طوائف الجهاد كأحزاب

العمل السياسي يتوارثون عناوينها الحزبيَّة تالياً عن سالفٍ، وهذا لم تتمناه هذه الطوائف، بل كانت ترى روابط الولاء بين هذه الطوائف في تغيُّر شعاراتها وتباعد تجمعاتها، ولم تكن هذه الروابط وشائج حزبيَّة قط كما هو شأن الأحزاب الأُخرى، كذلك فإنَّ العِبرة ليس برفع شعار حزبٍ مَا حتى يكون النَّصر له، بل يكفي في باب العمل الإيماني أن يتحقق الفِعل حتى لو تبدلت الأسماء والطوائف والجماعات، ومن رأى فرح طوائف الجهاد وقادتها لهذا الحِراك وآثاره عَلِمَ صدق هذه المعاني، وهي التي لا يهتدي إليها إلاَّ من رجا الله والدار الآخرة.

أما وصف الحِراك أنَّه إيماني أو غير إيماني فهذه قضيَّة تتبع كليَّة اختلاط الحسنَّة والسيئة، والحُكم في أفعال (الكلِّ) لا على الأفراد، ولا على جُزئيات الفِعل، ولكن يحكم على مجموع اتجاهه، ولذلك يُقال:-

- إنَّ الوصف الحقيقي لهذا الحِراك أنَّه مقدمات حصول الوعود الإلهيَّة بالنَّصر والتمكين، والأُمَّة التي لا تنتصر لحقوقها هي أولى بالموت من أن يُقال لها تقوم لحقوق الله تعالى، فإنَّ لهذا الدين معاني عظيمة ولا تلتئم إلاَّ مع أوعية ونفوس عظيمة، ومَن تفكَّر في حال الصدر الأول عَلِمَ عِزَّة نفوسهم قبل وُرود الإسلام، وأبْصر رِفعتهم عن الدنيَّة وقبول الذلَّة، ولذلك كان رسول الله ﷺ يُعيد أحكام بعض القضايا التي تتعلَّق باختياراتهم إلى هذه المعاني النفسيَّة كما في حادثة الخندق، فقد روى البزار والطبراني[1] بإسناد حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء الحارث الغطفاني إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد شاطرنا تمر المدينة، قال حتى استأمر السعود، فبعث إلى سعد بن معاذ، وسعد بن عُبادة،

---

[1] في «مُعجمه الكبير»: ٦/٢٨/ حديث رقم: ٥٤٠٩. وأخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»: ٦/١٩١/ حديث ١٠١٤١. وقال: ورجال البزار والطبراني، فيهما: محمد بن عمرو، وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات.

وسعد بن الربيع، وسعد بن خيثمة، وسعد بن مسعود رضي الله عنهم فقال: **«إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ العَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَإِنَّ الحَارِثَ يَسْأَلُكُمْ أَنْ تُشَاطِرُوهُ ثَمَرَ المَدِينَةِ، فَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْفَعُوا عَامَكُمْ هَذَا حَتَّى تَنْظُرُوا فِي أَمْرِكُمْ بَعْدُ»** قالوا: يا رسول الله! أوحيٌّ من السماء فالتسليم لأمر الله، أو عن رأيك وهواك؟ فرأينا تبع لهواك ورأيك، فإنْ كُنْتَ إنَّما تريد الإبقاء علينا، فوالله لقد رأيتنا وإيَّاهم على سواء، ما ينالون منا تمرة إلا شِرَاءً أو قِرىً. فقال رسول الله ﷺ: **«هُوَ ذَا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُونَ»**.

ولذلك قالوا لرسول الله ﷺ في بيعة العَقبة: «نمنعُكَ بما نَمنَعُ بِهِ أَنْفُسَنَا وَأَوْلاَدَنَا»[1]، فهؤلاء قومٌ فيهم الحمية الممدوحة في دفع الظلم، وحفظ الأعراض، ويدفعون عن قِيم الإنسان الفِطري بالمهج والأرواح، وهذه معاني تتلاءم مع قِيم الإسلام، فإنَّ الفطرة السويَّة إذا مُسخت لم تستسغ معاني الإسلام، ولذلك لا يَليقُ هذا الدين بنفوس تهون عليها أعراضها ومعانيها، فقيام النَّاس لأمرٍ فطريٍّ ممدوحٍ شرعاً حتى وإن خلا الفِعل عن قصد الإيمان، لأنَّ هؤلاء يُرجى لهم الخير، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ مدح أقواماً لسلامة فِطرهم وسويتها مع إسلامهم كما مدح الأشعريين بما يفعلون من الخير إذا أرملوا في الغزو، وهذا كله داخل في قوله ﷺ: **«خِيَارُكُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الإِسْلاَمُ إِذَا فَقُهُوا»**[2]، ومِن المعلوم ما مدح رسول الله ﷺ الروم، وهم أهل جاهليَّة، كما في حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه كما في مسلم.

---

[1] «سنن النسائي الكُبرى»: ٥/٦٤/ حديث ٨١٣٠. «مسند أبي يعلى»: ١٨/٣١٨/ حديث رقم: ٣٧٧٥. «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» للهيثمي: ٦/٥٩/ حديث رقم: ٩٨٩١. وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح. «المُستدرك على الصحيحين» للحاكم: ٣/٢٦٠/ حديث رقم: ٥٠٨٢. وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

[2] «مسند أحمد»: ٣/٢٦٥/١٠٠٧٥، ١٠٠٧٦، ١٠٠٧٧.

والقصد أنَّ الأُمَّة التي تهون عليها قِيمها الفِطريَّة، ولا تنتصر لها إذا انتُهِكَت لا يُرجى منها خير فيما هو أكثر من ذلك؛ أي قيم الإسلام والآخرة، ولذلك كانت هذه الأُمَّة في سُكوتها على طواغيتها واستكانتها ذلَّة لهم أبعد عن قِيم الفِطريَّة لا قيم الإسلام فقط، لكنَّ الطامَّة الكُبرى لم تكن في هذه الفاقرة فقط، بل كان هذا السكون الذليل والركون المهين يُنسب للإسلام، ويحتجُّ له بمذاهب وأقوال فقهاء جُدد هم أهل جهالة تختلط بجبنٍ وخَوْرٍ، ولذلك يصحُّ القول دائماً: إنَّ العقل الفِطري أهدى لصاحبه من دينٍ بدعيٍّ، والأُمم التي تسير وِفْقَ سنن الوجود أهدى في الوصول لمطلوبها مِن أُمَّةٍ مُتدينة تديناً بِدعياً يقودها للجهالات والفساد.

وهذا الكلام يُقال هنا ليردع الجاهلين الذين يذمُّون حِراك الأُمم ضدَّ طواغيتها، أو الذين يسحبون عنه وصف الحَسن لخلوه عندهم من مقاصد التعبُّد أو مقاصد الدِّين ونُصرته، فإنَّه حتى لو وُفِّقُوا في هذه الدعوى، وليس كذلك لأنَّها تتحدث عن أُمَّةٍ مسلمةٍ بجملتها واختلاط الحسنة والسيئة فيها، أقول حتى لو وُفِّقُوا في هذه الدعوى فإنَّ الفِعْلَ نفسه ممدوحٌ من جهة الفِطرة التي يمدحها الشارع ويُقيم لها الاعتبار.

• أما الأمر الآخر الذي يُوجِب مدح هذا الفِعل والفرح به فهو نتائجه التي وصل إليها إلى الآن، فقد عُلِمَ أنَّ الطواغيت هم سدُّ الشرِّ أمام الخير ودُعاته، وهم كذلك أهل الخِداع والمكر، فسقوط هذه السدود ما يحقق الارتباك للشيطان وجنوده، وفي هذه اللحظات القلقة لهم هي لحظات استغلال وبناء وعمل لدعاة الخير، كما حقق حالة تنفس وانتعاش للنَّاس، إذ يستطيع الدُّعاة والعاملون الوصول للنَّاس وتبليغهم الحقَّ، وهذا الذي وقع بفضل الله تعالى، فقد خرج الكثير من المظلومين من سجون الطواغيت، وامتدت آثار التدين في النَّاس، وصار اللقاء بين الدُّعاة وأهلهم ومحيطهم، فتحقق خيرٌ كثيرٌ على جِهة الأفراد وعلى جهة وجهة الإسلام وعموم مقاصده، وهذه المراحل إن لم تكن النهايات

لدى أهل الإسلام، لكنَّها وسيط لما بعدها كما سيأتي، والأمور العظمى لا تأتي فجأةً، فالطفرات لا وجود لها إلا فيما يظهر لنا، وأمَّا في عالم السُنن فإنَّ الزمن عاملٌ ضروري للحِراك والفِعل، والوسائط القَدريَّة الغالبة تمدح وتذمُّ بحسب تحقيق مقاصد العاملين لدين الله تعالى حتى مع خُلُو أهلها من مقاصد المكلَّفين المسلمين، فإنَّ النجاشي مُدح بأنَّه لا يُظلم عنده أحدٌ، ولم تكن بيئته إلاَّ بيئة أمان للمضطهدين والمُستضعفين، فكيف يكون وصف البيئات التي تحقق تقدُّم الدعوة وانتشارها، ونحن نتحدث عن بيئات إسلاميَّة وقومٍ مسلمين ولا تتحقق مقاصد الإسلام العُظمى من إمامة وجهاد ووعود إلهيَّة بإزالة دولة يهود إلاَّ بهذه الجموع وليس من خلال عمل نخبوي، ولذلك فإنَّ عمل المجاهدين في بداية أمره كان لتحقيق الشرارة حتى يتحقق الانفعال الكُلِّي لعموم الأُمَّة أو أكثرها، والذين بهم تتحقق مقاصد الدُّعاة والمجاهدين.

ولكن يبقى أمر الاغتنام لهذه البيئات، فإنَّ البيئة المحايدة هي خيرٌ من المُضادَّة فكيف إذا كان فيها مَيْلٌ للخير، فإنْ فشلَ الهُداة والدُّعاة عن تحقيق مقاصد الإسلام في هذه البيئات والظروف فإنَّ الذمَّ يعود عليهم لا على أمرٍ آخرٍ، وأمَّا الجلوس على شاطئ التفسير الجاهلي وذمُّ الفعل دون اغتنامه واستغلاله فهذا فن يُتقنه بعض المسلمين وبعض حركاتهم، وكأنَّهم لم يخلقوا للفِعْلِ ولا للمبادرة، بل يظنُّون أنَّ أعظم ما يقومون به خدمة لدين الله أن يصفوا ويحللوا، وعامَّة وصفهم وتحليلهم هو الذمُّ والقدح والاتهام، وأذى مرده ونهايته السكون وهُجران مواطن الخير، فتعطَّلت فاعليتهم، ومضى الآخرون بأرزاقهم من هذه الأسواق التي كانت تتسع لهم ولغيرهم، ولذلك من العيب والعجز والجهالة هو عدم خوض غمرات هذه الوقائع، أو الإقتصار على الذمِّ، فإنَّه مساحة عطشى للدُّعاة الصادقين، وهي نهم إن أحسنوا الاستغلال والاغتنام.

لقد كان سقوط الطغاة أملاً في نفوس أهل البلاء، وكان فرعون أشدَّ مما تصورناه، فإنَّ الأحداث دلت أنَّ هؤلاء الطواغيت قد رسَّخوا أقدامهم في البلاد والعِباد، وامتدت جذور تمكُّنهم إلى النفوس الكثيرة والجموع العديدة، وكان الزمن الذي يطلبه دعاة الإصلاح دون أهل الجهاد والبلاء عامل قوة للطغاة، بل كان كلُّ يوم يمضي إنَّما يحقق مزيد تمكينٍ وتجذُّرٍ لهم، ولقد كانت حلقات الجهاد السابقة والتي ذمَّها مَن لحق بها اليوم وصار من رجالها ورؤوسها تحتاج إلى الأقل مما تحتاجه اليوم في إزالة هؤلاء الطغاة، ولو أحسنَ هؤلاء القراءة لرأوا أنَّ تَنكُّبهم سابقاً من طريق الجهاد مع سهولة تحقيق مقاصده ثم لحوقهم اليوم به وقد صارت الأثمان فيه أغلى وأعظم كان جهلاً وفساداً في النظر والقراءة، وأفعال النَّاس اليوم مع مدحها إلاَّ أنَّ الأُمَّة يجب عليها الاستغفار حين تأخرت هذه الأوقات، وسكتت هذا السكوت حتى وصل أمر الطغاة إلى هذا الحال.

والذين ظنُّوا في البدايات أنَّ الأمر يسيرٌ حين سقط طاغية أو اثنان بلا كبير تضحية هم مخطئون، لأنَّ هذه البيئات التي لم يحصل فيها تغيير جِذري، بل سقط بعض الطواغيت وخلَّف الكثير من أجزائه سيحتاج أهلها إلى جهود وزمن حتى يتحقق فيها الفصل بين طائفة الحقِّ وطائفة الباطل، ولذلك يخشى في هذه البيئات من تنازل أهل الحقِّ ـ وهذا ما وقع من بعضهم ـ إرضاءً للشرِّ الذي بقيت بعض قُوَّته، وهذا مع أنَّ كل البيئات إلى الآن هي بيئة وسيطة وقلقة والعِبرة بالاغتنام كما تقدم.

لقد كان مروان حديد[1] وأمثاله ومَن هم على طريقته هنا وهناك هم أهل البصيرة والفهم، فإنَّه لو استجابت الأُمَّة لهم، ولو وافقهم أهل العلم في أزمانهم

[1] كان رحمه الله تعالى أمير ومؤسس الطليعة المُقاتلة على أرض الشام سورية، وقد عانى الكثير من الإخوان المسلمين.. قضى نحبه في سجون النُصيريين الملاعين ـ أخزاهم الله في الدنيا والآخرة، وأراح منهم البلاد والعباد.

على مُرادهم لَتحقق الخير الكثير مع القليل من الثمن، لكن ها هم النَّاس والطوائف والجماعات قد لفَّت ونشرت، وذهبت وجاءت ثم عادت إلى طريقته رحمه الله لكن مع ثمنٍ مضاعفٍ وجُهْدٍ أعظمٍ.

وقد يقولون: لم نكن على بيِّنة من هؤلاء في الأمس كما نحن اليوم، فإنَّ الظنَّ كان بهم حسن، ولمَّا بانَ لنا شرُّهم العظيم وفسادهم الكبير قُلنا بهذا الأمر، فيقال لهم: رحمنا الله وإيَّاكم، لقد كان والله شرُّهم هو هو مِن أول يومٍ هم فيه، وكان يكفي لأهل العِلْمِ والبصيرة أن يروا كيف تُحكَّم شريعة الشيطان، وكيف يُحارب دين الله، وكيف يُطارد أهل الإيمان حتى تقولوا هذه المقالة التي أنتم أصحابها اليوم، لكنَّ فساد المذهب، وقصر النظر، وإغضاء العيون على الحقائق هو ما أوصلكم إلى جهل الحقِّ، ولا نريد أن نقول إنَّه الحسد أو شقاق الرجال أو اتِّباع الهوى هو سبب ذلك لا غير.

وحتى يُعلم فضل أهل الجهاد على أحداث النَّاس من المسلمين، وأنَّ سبيلهم هو الأقوم والأرشد حتى لو خالفَ مخالف في بعض أجزائه، فإنَّ ما سبق هذه الأحداث والحِراك كان مَعيباً من أقوامٍ، وخاصَّةً أولئك الذين كانوا على بيِّنةٍ من الحقِّ، ومن أهله، أو كانوا قريباً من هؤلاء ولكن سقطوا لداء الاستعجال وضُعف الصبر وقلَّة اليقين، فانقلبوا مِن عَدوة الحقِّ وأهله إلى عَدوة الباطل أو الضعف، فقد رأينا سقوط جماعات وقيادات تحت مُسمى المراجعات، فواحدة كانت مُقاربة للحقِّ إلا أنَّها سارت إلى منتهى الفساد، ولم تتخلَ عن بعض الحقِّ

وارجع ـ أيها القارئ الكريم ـ غير مأمور إلى كتاب: «التجربة السورية» للأخ أبي مصعب السوري ـ حفظه الله تعالى، فقد كشف فيه تلاعب الإخوان ومُتاجرتهم بجهاد الإخوة للنظام النُصيري، وكل ذلك مُدلل بالأدلة الساطعة، والبراهين القوية. وارجع أيضاً إن شئتَ التوسع والتوثيق إلى أشرطة قائد الطليعة بعد مروان حديد الأخ المجاهد عدنان عُقلة ـ رحمهما الله تعالى، والأشرطة متوفرة على «منبر التوحيد والجهاد» المبارك.

الذي عندها، بل صارت من دعاة الباطل، وقالت مِن الشرِّ ما كانت تعيبه على غيرها، وعرضت قواها وعقلها خدمة للطواغيت في محاربة الجهاد وأهله[1]، بحجَّة فسادهم وعدم بصرهم في طُرق الإصلاح والتغيير، وصار قُصارى همِّهم عيب كلِّ كلمة حقٍّ تُقال ضدَّ الطواغيت، فكانت عندهم مجرَّد الكلمة تُقال للنَّصيحة، أو الموقف الذي يسير إلى المُخالفة هو ضدُّ الحِكمة والعقل بل والدين، ثم تبيَّن بعد وضوح بعض الأمور أنَّ شأنهم في السجون كان الشرّ على من لم يسر سيرهم ولم يسلك مسالكهم، حتى صاروا أذرع شرٍّ للطواغيت وجنوده، ولما قام الحِراك وبدت بوادره جدعوا ومنعوا وحرموا ثم لما تحقق ما تحقق عرضوا صدورهم لإمامة النَّاس وقيادتهم في الحال الجديد.

وآخرون ظنوا وتوهموا وأخرجوا الدراسات[2]!! زعموا ـ تدعو لسلوك طريق الإصلاح، والنهي عن طريق الجهاد ضدَّ الطواغيت، وكان خُلاصة ما قالوه هو الذوبان في إسار الطاغوت ومؤسساته، والعمل ضمن مسنناته ودروبه، ومن تأمل الموقف رأى أنَّ دافعه هو قِلَّة الصبر واستعجال الأمور والخروج من محنة الابتلاء التي تسبق الظفر والتمكين، ولما سار اليأس بركابه في النَّاس، وصار كلٌّ يصرخ: انجُ سعد فقد هلك سعيد، وصار مجرد قبول الطاغوت لداعية إصلاح

---

[1] يقصد الشيخ ـ حفظه الله تعالى، وعجل بفك أسره ـ كبار قادة ورموز الجماعة الإسلامية المصرية وعلى رأسهم ناجح إبراهيم الذي ما فتئ يعرض انتكاساته على دول الخليج وغيرها من أجل تطبيقها للقضاء على الجماعات الإسلامية المجاهدة هناك ـ زعم...

وقد وصل الأمر بأحدهم ألا وهو أسامة رشدي أن قال بأنه لا يوجد أي فارقٍ بين الإسلاميين والليبراليين!!؟؟

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف: ٥].

[2] المعني هنا الجماعة الإسلامية المُقاتلة الليبية وتراجعاتها التي أصدرتها من داخل السجون عام ١٤٢٧/٢٠٠٦م في كتاب سمته: «الدراسات التصحيحية في مفاهيم الجهاد والحِسبة والحُكم على النَّاس». وللشيخ حفظه الله رسالة على هذه التراجعات معنونة بـ«وقفة نصيحة مع الدراسات التصحيحية في مفاهيم الجهاد والحِسبة والحكم على النَّاس»، وهي منشورة على موقع «منبر التوحيد والجهاد».

في داخله هو منتهى الطلب والأمل وتحقيق النَّصر، وصار أهل الجهاد مناطاً يعلِّق الجميع رخصة قبوله عند الطاغوت على سبِّهم والبراءة منهم، فلما حصل هذا حقق الله قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]. فكان ما كان مما رآه النَّاس، إذ بثَّ الله الإرادات في قلوب جنود لا يعرفون أنفسهم ولا ينظر إليهم أحد، فأسقط الله الطواغيت على وجهٍ من الخير الذي يئس منه هؤلاء ولم يظنّه الصابرون على الطريق، ليتحقق قوله تعالى: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [النحل: ٢٦].

ولمَّا حصل هذا فإنَّ الجميع اليوم يداً واحداً أنَّ الطواغيت لا شرعيَّة لهم، وأنَّ إزالتهم واجب الوقت بأي وسيلة كانت حتى بالقتال والسلاح، فمن أسعد النَّاس إذاً بهذا الأمر؟ ثمَّ أليس من الإنصاف أن يقول الجميع: أخطأنا وأصاب أهل الجهاد؟.

نعم لا نحن ولا أحد يظنُّ فيهم بلوغ هذا المُرتقى من درجات الإحسان والاستغفار والإنابة، والنَّاس إنْ ضعف الإيمان ـ هم أتقن الخلق لتبرير الذنوب والاعتذار عنها بالنوايا الطيبة، ولكن من تذكر لقاء الله تعالى وسؤاله سلكَ سبيل من قال تعالى فيهم: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة: ١١٨].

أما إنَّ هؤلاء قد صاروا الأئمة والقادة لما سقطَ الطغاة، فيُقال لهم: من يحكم على صحَّة الأفعال بهذه الطريقة؟ وهل الدِّين إلاَّ الدليل، ثم إنْ كان هؤلاء قد صار لهم هذا المقام فإنَّ غيرهم ممن كان يرجو ودَّ الطاغوت قد بلغوا أكثر من مقاماتهم بل يُقال عن هؤلاء أنَّهم كانوا على الصواب والحقِّ؟!!

ثمَّ إنَّ المقام هنا هو مقام إثبات مَن آب إلى الآخرة، ومن عاد بعد طويل صدود إلى سبيل طريق المُخالف، فأين ذهبت تقديرات المصالح التي كان يُحتجُّ بها قديماً؟

أين ذهب اشتراط الإمام للجهاد؟.

وأين ذهب تقدير المفاسد وهم يرون أنَّ «الجهاد» ضدَّ الطواغيت يؤدي إلى سفك الدماء وانتهاك الأعراض وذهاب المال وهدم البيوت؟.

وأين القول إنَّ الجهاد لا يصحُّ إلاَّ ضدَّ الأجنبي لا بين أهل الوطن الواحد؟.

لا نقول هذا تعبيراً ولا تسجيل مَذمَّة، لكن يُقال حتى يعرف النَّاس أثر أهل الجهاد علماً وعملاً على واقع الأمر، حتى يعلم كلُّ منصفٍ مَن أولى بحمل شارة الحقِّ والهُدى وصحَّة السبيل.

إنَّ أسعد النَّاس حالاً اليوم وأشدَّهم فرحاً هم أهل الجهاد لا كما يقول المُرجفون والمنافقون إنَّ الثورات والحِراك قد أذهب عنهم مُرادهم في النَّاس، فإنَّ الذي تحقق بفضل الله تعالى هو ما سعوا إليه طيلة أعمارهم، وهو مقصد جهودهم، فهل لهم مقصد غير إسقاط الطواغيت، وهل لهم مقصدٌ غير أنْ تنهض الأُمَّة لمصالحها، وهل سعواْ لغير ما هو اليوم من قيام الأمَّة ونفضها غُبار الذلِّ والهوان والكسل والركون إلى الطاغوت؟.

أمَّا أنَّ المقاصد الغائية لم تثر، ولم ينشط لها النَّاس، فيُقال: رُوَيْدَكَ فإنَّ الأوراق لم تُطْوَ بَعْدُ، وسيكون ما بعد أشد مما مضى إن شاء الله تعالى، ويكفي المجاهد والصالح اليوم أن يرى سقوط عُمدة الردَّة ورفع نداءات التكبير وفرح النَّاس بارتفاق[1] السلاح، وجُرأة النَّاس على قول الحقِّ، وهي مُقدمات لمن فَهِمَ

[1] الارتفاق: الاتكاء.

دين الله لما بعدها، فإنَّ الوعود مزينة وراء أبواب الزمن والله يعد لها رجالها برحمته.



المحنة ثم الإمامة

﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ١٠٩ ﴾ [يونس: ١٠٩].

الوسيط الزماني القدري يمكن فهمه الآن على ضوء ما تقدم، فإنَّ الهدم عكس البناء، والعكس صحيح، ومَن تأمل سقوط دولة الإسلام لم يُلاحظ سقوطاً مُفاجئاً حتى يُدرك الفَرق بين طرفين حادَّين في الخلاف والوجوه، وهذا السقوط المُتتابع هو الذي منع الكثيرين من إدراك الفَرق بين دولة الإسلام ودولة الردَّة الحادثة، فالتحول كان ليناً وبانعطافات صغيرة جداً، وُصفت في الحديث على معنى افتراق القرآن عن السلطان[1]، ولذلك كان مِن الفهم على الأقدار الإلهيَّة أن يُدرك الناظر الضرورة القدريَّة للزمان الوسيط بين ردَّة حكم وبين إسلام يعود عن غربته إلى حُضوره، ولعلنا نستطيع أن نستطلع هذا الأمر في هجرة النَّبي ﷺ إلى المدينة، فإنَّ أمْرَ كمال سلطان النَّبي ﷺ لم يأتِ دفعةً واحدةً بمجرد الهجرة، فقد هاجر إليها ابتداءً من أجل الحِماية، ولم يكن مِن أمر البيعة في أولها إلاَّ على هذا

---

[1] إشارةً إلى الحديث الذي أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» : ٩٠/٢٠/ حديث ١٧٢ : «عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**خُذُوا العَطَاءَ مَا دَامَ عَطَاءً، فَإِذَا صَارَ رَشْوَةً عَلَى الدِّينِ، فَلاَ تَأْخُذُوهُ، وَلَسْتُمْ بِتَارِكِيْهِ، يَمْنَعُكُمُ الفَقْرُ وَالحَاجَةُ أَلاَ إِنَّ رَحَى بَنِ مَرْحٍ قَدْ دَارَتْ، وَقَدْ قُتِلَ بَنُو مَرْحٍ أَلاَ أَنَّ رَحَى الإِسْلاَمِ دَائِرَةٌ، فَدُورُا مَعَ الكِتَابِ حَيْثَ دَارَ، أَلاَ إِنَّ الكِتَابَ وَالسُّلْطَانَ سَيَفْتَرِقَانِ فَلاَ تُفَارِقُوا الكِتَابَ. أَلاَ إِنَّهُ سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يَقْضُونَ لأَنْفُسِهِمْ مَا لاَ يَقْضُونَ لَكُمْ، فَإِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ قَتَلُوكُمْ، وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ أَضَلُوكُمْ**» قالوا: يا رسُولَ اللهِ، كَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ: «**كَمَا صَنَعَ أَصْحَابُ عِيسَى بنِ مَرْيَمَ نُشِرُوا بِالمَنَاشِيرِ، وَحُمِلُوا عَلَى الخَشَبِ مَوْتٌ فِي طَاعَةِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ**».

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»: ٤١٠/٥/ حديث رقم: ٩١٥٣، ٤٢٨/٥/ حديث رقم: ٩٢٠٨: رواه الطبراني، ويزيد بن مُرْثَد: لم يسمع من معاذ، والوَضْين بن عطاء: وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات.

المعنى، ثم بدأ السلطان ...، فقد رأينا كيف جعل رسول الله ﷺ يستشير الأنصار لَّما فاتت العير التي كانت مقدِّمة لغزوة بدر المُباركة، وهذا أمرٌ لم نشهده في غزوة تبوك مثلاً، وهي خاتمة غزوات النَّبيِّ ﷺ، فالسلطان لا يتحقق دفعةً واحدةً، خاصَّةً حين تكون مهمَّة الدولة هي نفسها مهمَّة الدعوة، أي أنَّ النَّاس ليسوا محكومين فقط أمام طبقة تهتم بشؤون الإمامة بمعزلٍ عن الأُمَّة، فهذا التصور هو الذي يجعل بعض النَّاس يتخلى عن مقاصد الإسلام في الجهاد والدعوة، لأنَّ بناء دولة الإسلام على معنى الدعوة يعني أنَّ الدولة بطرفيْهَا حُكَاماً ومحكومين هم مِن عمل واجبات الدولة، وحين يكون الأمر كذلك فإنَّ هذا يعني وُجوب قبول النَّاس لهذا الواجب، وأمَّا تصور حمل الإمام النَّاس جُملتهم أو أكثرهم على سُبل البلاء من الجهاد دون إرادتهم وحُريتهم فهو تصورٌ خياليٌّ لا يتحقق واقعاً وقدراً، ولذلك فإنَّ دولة الدعوة لا تكون في صورتها الكُلِّية إلاَّ بوجود أزمنة وسيطة تسبقها، ترتقي فيها الأُمَّة نفسها مع تكاليف القرآن والجهاد والبراءة من الكُفر.

وهذا الذي نقوله هو حُكْمٌ قدريٌّ لا يد للفقيه فيه، والحُكم عليه أمرٌ لازمٌ، لكن يجب تنبيه الفقيه أنَّ مثل هذه الأُمور يحكم على اتجاهاتها الكُلِّية لا على أفرادها وجُزئياتها، كما يحكم بإضافتها؛ أي بنسبتها أمام غيرها، وهذا قد يغيب فهمه عن كثيرين ممن يتعامل مع الجزئيات، كما أنَّ هذا الفهم لا يلتقي أبداً مع دعوات بعضهم والتدرج في تطبيق الشريعة كما يعتقد بعض الناس، فإنَّ الأمر في دين الله تعالى يتعلق بالقُدرة، فلا تكليفَ فوقَ الوُسْعِ، إنَّما هنا الكلام يجري على فهمنا لسيرورة قدر الدعوة والدولة التي نرجو وُصولها إلى كمالاتِها قريباً بإذن الله تعالى، وبها تتحقق الوعود الإلهيَّة، وهذا الفهم له فوائد في إدراك واجب الوقت والاستعداد للآتي.

أما واجب الوقت فإنَّه قانونٌ يستدعي الابتعاد عن الخُصومات ضدَّ المهديين للخير الآتي، حتى مع خطئهم، وهذا كما تقدم مِن النظر إلى اتجاهات الفِعل والتقدير الصحيح لمصلحة الدين، وما يُقال اليوم في هذا الباب يفترق عن الحال الذي ذهب، فإنَّ جماعات العمل السياسي الإسلامي كان مجرَّد وُجودها في هياكل الجاهليَّة عاملَ شرٍّ لا يتحقق منها الخير إلاَّ على جهة التوهم، واقتيات الجاهليَّة منها أكثر من المصالح التي يزعمونها، بل كانوا في أبواب وظروف أداة شرٍّ ضدَّ الحقِّ وأهله، ولذلك كان التصدي لها جزءاً من مُهمَّات الدعوة، لكن حين يصبح هؤلاء هم المُمَهدُون قدراً لدولة الإسلام فإنَّ الحكمة لها وجهٌ آخرٌ حينئذٍ، وأنا أقول هنا «قدراً» لأنَّ قراءة الواقع تدلُّ على أنَّ هؤلاء سيقفون غداً أمام خيارٍ حادٍ لا ميوعة فيه، كما لا يقبل فيه أنصاف الحلول: إما دولة الإسلام التي تُبنى على مقاصد الدعوة وإمَّا ذهابهم إلى مزبلة التاريخ، ودعاؤنا أن يهديهم الله إلى الحقِّ حينئذٍ لأنهم سيكونون بحقٍّ أئمة الوقت ورجال المرحلة، وهذه نكتة يأتي شرحها إن شاء الله تعالى.

فهذه هي المقدِّمة الفِطريَّة الأُولى لفهم واجب الوقت، أي عدم الوقوف أمام الحدث ما دام وجهة الوصول إلى الحقِّ أو أنَّه بوجهته يحقق بيئة تتحقق بها مقاصد الإسلام العُظمى.

أمَّا الأمر الآخر فإنَّ بعضاً من أهل الجهاد والبلاء قد سرقتهم الأضواء فيما يقع من وُصول بعض أهل الإسلام إلى بعض التمكين، وهو إلى الآن كما هو بين ضمن شروط الجاهليَّة وقانونها ولعبتها ـ كما يسمونها ـ فصار التساؤل عندهم: دعونا نلحق بالأمر، وهذا الأمر وإن لم يقع إلاَّ من أفراد إلاَّ أنَّ مجرَّد التساؤل خطرٌ شديدٌ، ويدل أنَّ النَّاس بحاجة للتذكير دوماً أنَّ فتنة أهل الحقِّ دوماً هو الذوبان في المرحلة القلقة الذاهبة دون النظر إلى الحال المُرتقب وراء الستار والغدر.

وهؤلاء في غنىً عن التذكير بأنَّ الحُكْمَ الشرعي مبني على العِلل، والحال الذي فيه مناطات المنع كما هو معلومٌ عندهم سابقاً هو الحال اليوم بلا تغيير، والفقيه والبصير لا تغرُّه البهارج والكثرة، ولا انسياق الجموع والقطيع، وهو حين يذهب هذا المذهب تفوته الإمامة التامَّة التي أقامها الله لأمثاله، ولذلك فإنَّ دخول أهل الحقِّ والجهاد في القِسمة الضيزى والتي ما زالت تُمَاس من قبول الشرِّ والعلمانيَّة مع الإسلام، منعهم لُزُوماً من الوصول إلى أهداف جهادهم بتحقيق دولة الدعوة، وأماني أهل الباطل اليوم هو ذوبان الناس في هذا المهيع الجاهلي، وإنَّ أشدَّ الأمور عليهم هو بقاء أهل الحقِّ تحت شعار ﴿**إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ**﴾ [يوسف: ٤٠].

فواجب الوقت هو الثبات على مبدأ المُنازعة لا المُشاركة، والغنيمة لا الصفقة، والوراثة لا المُساكنة، فإن فعلوا ذلك فإنَّهم على درب الحقِّ شرعاً وقدراً، فإنَّ الأحداث التالية تقول بملامحها أنَّهم هم أهل الوراثة دون غيرهم، أو يُقال: إنَّ سبيلهم هو الوارث دون السبل كما يدل واقع الحال أنَّ سبيلهم هو الحقُّ دون سُبل الآخرين.

وهذه الفترة هي أشبه ما تكون بحال النَّبيِّ ﷺ بعد صُلْحِ الحُديبية حين فرغَ من قريش وعدائها، فسالمها مدة وتفرغ للدعوة وإرسال الرسل إلى الملوك وغيرهم، فكان في ذلك أمرٌ عظيمٌ، فهذه فترة لا يذهب عن الاهتمام بها إلاَّ مغبون، فإنَّ الدُّعاة بوسائل كثيرة يستطيعون تعليم النَّاس الحقَّ، وعرض أمره عليهم وما غاب عنهم، وخاصَّة أمر مهمَّة المسلم في تعبيد النَّاس لربِّهم، وربط قضايا الحياة بالإسلام وأحكامه، سواءً كان مما يتعلَّق بقضايا الحُكم العامِّ أو الاقتصاد أو الاجتماع، فهذه الأمور هي ما سيُحارب أهل الإسلام خصومهم عليها في المرحلة القادمة، ويجتمع هذا الخير في مسألة وراثة الأرض، وبيان الوعود الإلهيَّة

لإزالة دولة يهود وحصول المُنازعات وفتح روما وغير ذلك مما هو قريبٌ إن شاء الله تعالى، والأُمَّة عطشى والميدان رحبٌ واسعٌ وينتظر قول الحقِّ وأهله، وخاصَّة أنَّ طوائف العمل السياسي قد سرقتهم الأضواء الأُخرى، وشغلتهم في داخلها وفرغت الساحة إلاَّ من الدُّعاة، مع ما يُشارك هذه الأعمال الدعويَّة من أعمال خير في النَّاس لتكوين لجان البرِّ والإحسان، ودفع الظلم عن المظلومين، والتحكيم بين النَّاس بالشرع، مع تجنيد النَّاس لمواطن الجهاد والبلاء في الشام المُباركة وغيرها، وبهذه تتمُّ التهيئة الميدانيَّة للمراحل القادمة، ويحاط هذا كلُّه بعدم المُصادمة مع الآخرين من طوائف العمل الإسلامي، بل يكون الصبر والإعراض عن كلِّ ما يُقال ضدَّ الدُّعاة، فلا ينبس ببنت كلمةٍ تبدو في أمرها يسيرة حتى إذا خرجت أشعلت النَّار وأججت المحن، وانشغل المسلمون ببعضهم عن الأُمَّة أو خُصومها من العلمانيين الزنادقة، والحال اليوم هو صراع على الأُمَّة مع قواعد الشرِّ ممن تزندقَ وارتدَّ ولحقَ بطوائف الكُفر عمالةً وقذارةً أمَّا في المواطن التي لم يحصل بعد فيها سقوط الطاغوت فالواجب اللحوق بالجموع التي تحقق سقوطه على وجه ما وقع سابقاً من أمثلة، وقد رأى الجميع حِكمة الله في تنوُّع هذا السقوط، وأنَّه كلَّه تدبير إلهي لا خِيار للنَّاس فيه إلاَّ التسليم، وكأنَّهم أدوات فارغة تجري فيهم إرادة الله وحِكمه سبحانه وتعالى، **والأمر الآن هو سقوط طاغوت سوريا، وهو أمرٌ سيُغيّر صورة العالم الإسلامي في منطقة بلاد الشام، أرض الوعود والحشر والنبوءات في معركة سيطول أمدها لأنَّ الأمر فيها ليس أمر الطاغوت وجُنده فقط بل سيمتد إلى الزنادقة الروافض في العراق ولبنان وإيران، وسيدخل فيها عوامل جديدة كذلك، وهي في محصلتها خيرٌ لأهل الإسلام بإذن الله تعالى**، لكن ستكون كلُّ نماذج التغيير السابقة أمامها كحبَّة صغيرة أمام تلٍّ عظيمٍ، ولذلك لا يستعجل أهل الدعوة والحقِّ في البلاد المحيطة بسوريا فيقع في قلوبهم اليأس من التغيير، فالنَّاس بعقلهم الفطري وحِسهم

الجمعي حصل منهم هذه الثورات والحِراك على وجهٍ غريبٍ من الدهاء والذكاء والإدراك، فهم أمَّة مرحومة بحقٍّ، ولذلك لم يقع أي فِعْلٍ على هيئة القفز في المجهول، مع أنَّ المستفزات كثيرة وخاصَّة التقليد، لكنَّهم كانوا أوعى وأبصر من دخول المهالك، والنَّاس اليوم أن عقدة الحبل هي سوريا فإذا انحلَّت جاء ما بعدها كما حصل في النماذج السابقة، والأمر في سوريا مُعقَّد، لكنَّ كلَّ خير عظيم لا يسبق إلا بفعلٍ وابتلاءٍ عظيمٍ، والأُمَّة بفضل الله أثبتت أنَّها لا تخاف التضحيات، لكنْ كان سائق العلم ونموذج الإرادة هو الغائب عن هذا المشهد كُلِّه.

وإدراك الطاغوت الأكبر مِن يهود ونصارى وقوع أمر التغيير في سوريا على وجه الحقِّ والخير هو ما يمنعهم من الذهاب بعيداً فيها، فإنَّهم كانوا يأملون وما زالوا أن يسقط النظام على وجهٍ كليٍّ بيد جامعة كما في مصر واليمن وتونس، وحينئذ يمكن استيعابه وابتلاعه في داخل الجاهليَّة كما هو شأنه الآن، ولكنَّ ملامح ودلائل الأقدار تُنبئ أنَّ لله إرادة أخرى، وأن الله يسوق هذه الأرض المباركة إلى جهة هي الأحبُّ عنده كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٧-٨]، ولذلك وجبَ الاعتناء بهذه العُقدة مِن قِبل أهل الحقِّ والنظر إليها على وجهٍ خاصٍّ دون غيرها، مع أنَّ ما يجري في مصر واليمن هو جانبٌ مهم، ويجب الاعتناء به، فإنَّ أوراقها لم تُطْوَ بَعْدُ، والآتي أعظم.

وفهمُ هذا عند الدُّعاة والهُداة في الأقطار المحيطة بسوريا يدفع عنهم الكثير من الأسئلة ويُعرِّفهم واجبَ الوقت وما يجب الاستعداد له، فإنَّه إنْ صحت هذه القراءة للأحداث فإنَّ وجه العالم كلُّه سيتغير لا وجه بلاد المسلمين فقط، فإنَّ سنَّة التداول الحضاري تدلُّ أنَّ غربة الإسلام ستزول إن شاء الله تعالى، وأنَّ

سقوط الغرب في التوحش والضعف أمرٌ قد بدت دلائله وملامحه عند أهل النظر، ولم يبقَ إلا عامل الزمن فقط، أمَّا الجرثومة فقد انتشرت وصارت عصيَّة عليهم، فما أن يسكِّنوا حمًى حتى يتفجَّر لهم ألم، ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم: ٤ ـ ٥]. فإذا أمر هذه الدول الأخرى سيكون أيسر بعد سقوط سوريا، وسيقع التغيير فيها لا محالة إن شاء الله تعالى، لكن من غير سقوط طاغوت سوريا فإنَّ النَّاس لا يذهبون بعيداً لعدم عِلمهم شكل الآتي عليهم، وهو ضربٌ يأباه وعيٌّ هذه الجموع المرحومة.

إنَّ مِن واجب الوقت اليوم هو التواصل بين كلِّ المسلمين مهما اختلفت اجتهاداتهم، ورمي الخلافات السابقة وراء ظهورهم، فإنَّ مشروع الأُمَّة المسلمة هو فوق هذه الخلافات، ولذلك وجبَ على الجميع التفقّه في أمر ميدان الوراثة، فإنَّ الجيوش لا تفرِّقها المذاهب الخلافيَّة، لأنَّ أمرها هو أمر أمَّة واحدةٍ بلا تفريق بين سنِّيٍّ وبدعيٍّ، ومُصيبٍ ومخطئٍ، فهذا كان شأن الأُمَّة في كلِّ أطوارها، والعدو إنَّما هو القافز إلى عدوة أهل الباطل حتى لو لبس على رأسه عمامة السنَّة والجماعة، فالصِّراعات العلميَّة!! كانت مناسبة ـ إن صحَّ هذا القول ـ لما كان الهمُّ صغيراً، فالنَّاس محبوسون في المساجد وصراعهم لم يزد على هذه المساحة، ولكن اليوم هو أمر وعودٍ إلهيةٍ تتعلَّق بخلافة الأرض وتحوُّل الحضارة بكُلِّيتِها من جهةٍ إلى جهةٍ أُخرى، وهذه مهمَّة لا يقوم لها الصغار ممن تُشغلهم في صباحهم ومسائهم مسائل الخلاف أو الرغبة في الثأر وتصفية الأحقاد، فالمُهمات العظمى لها رجال عظماء يستوعبون صغائر الأمور كأمر النهر العظيم في حمله ما يعترضه من مُعوِّقات، ولذلك وجبَ في هذه الحالة أن لا يفرّق ولا يقصى أي مسلم مهما كان اجتهاده ما دام حاملاً لسيف الحقِّ ضدَّ الباطل، وما دام مُقاوماً الجاهليَّة وأهلَها، فإنْ التحق بالباطل والجاهليَّة فحُكمه حُكمهم اعتقاداً وعملاً.

هذه لا تعني إلغاء معالم العِلم، ولا إلغاء الفوارق بين الصواب والخطأ، لكن يجب التفريق بين خلافٍ داخل الصفِّ، والصفُّ يستوعبه، وبين خلافٍ يُفرِّق ويُذهب القوَّة أمام مهمَّة المسلمين في تحقيق الحقِّ الكُلِّي ووراثة الأرض، فمشروع الأُمَّة المسلمة أكبر من أن تستوعبه جميع فصائل العمل الإسلامي، بل هو لا يتحقق إلاَّ بالأُمَّة كُلِّها كما وقع التغيير الذي رأيناه، فإنَّ هذا التغيير في الأقطار المسلمة لو قامت به كلُّ جماعات العمل الإسلامي لم يكن ليقع، بل لذهبوا وزالوا، يُقتل مَن يُقتل ومن بقي له السجن أو الهرب، لكن لَّما قامت «الأُمَّة» كان هذا التغيير، والآتي من الأحداث على هذا المعنى بلا تخلُّف أبداً، أقول هذا مع تخوُّفي من أنَّ جماعات العمل الإسلامي جميعها بلا استثناء قد تعودت العمل ضمن مفهوم الفصيل والحزب، ولم تتفقه أكثر من هذا، بل إنَّ بعضها لا يزيد نظره عن صراعات مسجده والمُصلين فيه، فمفهوم قيادة الأُمَّة والجماهير ليس حاضراً في الأذهان، ولا هو من تصوُّرهم وتربيتهم، فإن سحب هذا على المرحلة القادمة فستكون مُوبقات منهم لا مِن الأُمَّة، والأُمَّة بوعيها - إن شاء الله تعالى - قادرةٌ أن تولي أمرها ويحقق لها مقاصدها، والخسارة ستكون على هؤلاء الذين ذهبت بهم حزبيتهم وقصور نظرهم وتعصبهم لمذاهبهم وأقوالهم إلى شرِّ أنفسهم دون الأُمَّة ثم إنَّ ملامح الآتي فيما نراه الآن أنَّ الشعارات العلميَّة لا وجود لها في العمل العامِّ، فقد تلاشت الخطوط بين التنظيمات والتيارات داخل أعمال الأُمَّة، بل كلٌّ في سبيلٍ واحدٍ، ويتقفر بعضهم بعضاً، ولو سُئِلَ الناظر الفرقَ بين التيارات الإسلامية هنا لما وجد فرقاً البتة سوى الشعار الحزبي أو العنوان المُرافق للتيار فقط، وهذا الاتفاق لا يعني التصحيح ولا التخطئة، ولكن يعني أنَّ ارتفاع التيَّار والحزب إلى هموم الأُمَّة يُزيل الفوارق الداخليَّة بين التيَّارات والأحزاب وهو ما يجب مُراعاته، وحين تتسع الهموم التي تشمل الأُمَّة تتلاشى الخلافات على هذا المستوى، مع بقاء النُصح والعمل العلمي في الوسط

الإسلامي، كما هو شأنهما في تاريخ الإسلام، فإنَّ الأُمَّة في قيامها بواجب الخيريَّة والدعوة والإمامة أمام نفسها والعالم لم تكن خطوط الخير الداخلية تذوب أو تذهب، بل كان الأمر بالمعروف والنُصح العلمي والتنقية على كلِّ الصعد[1]، وهذا ما لم يكن يفهمه من يريد أن يُعمم الجزاء على كلٍّ، فقد ظنَّ هؤلاء أنَّ هذه الأعمال التي تُرافق الأُمَّةَ في كلِّ أطوارها هي إعمال إحياء الأُمَّة من الموات، ولم ينتبهوا أنَّ الأُمَّةَ لم تتوقف عن هذه الأُمور من تصحيحِ عقيدةٍ أو تصويبِ مسألةٍ أو تضعيفِ حديثٍ في أي مرحلةٍ من مراحلها، فهو واجبٌ متصلٌ لا يسبق حدثاً ولا يتوقف في حالٍ ولا يعقب مرحلة، وهو واجب الحياة في كلِّ أطوارها، أما أعمال الأُمَّة نحو نفسها والآخرين فهو أمرٌ آخرٌ، وهو ما كان وإلى الآن يجب الاعتناء به في إحيائه، وذكرُ هذا الأمر ليس مقصده فتح باب الخلاف من جديدٍ لكن حتى لا يلغي فِعْلَ فاعلٍ آخر، والوقت يتسع له كلّه بلا مُنازعة.

إنَّ ملامح المرحلة القادمة قد تُوجِب ذوبان كلِّ الأحزاب والتيارات وإلغاء كلِّ شعاراتها حين يتعلَّق الأمر بمجموع الأُمَّة، فإنَّ الأُمَّةَ غنيَّة عن شعور الصغار أمام تنظيمات وهي جزء يريد ابتلاع كلٍّ، والعكس هو الصحيح، إذ الأُمَّة حين تدخل في سبيل الحقِّ والوراثة هي التي يجب أن تُذيب الأجزاء في داخلها، وهذا الأمر هو أحد امتحانات المرحلة القادمة، وهذا قد لا يتصوَّره أصحاب الأحزاب التي ما زالت تظنُّ أنَّ هذه الفترة والتي تليها من الفترات هي على معنى ما تقدم من الزمان وظُروفه، حين كان الصِّراع ضِمن خطوط الجاهليَّة وتحت مظلتها وبشروطها، وهو ما كان يحقق الشرَّ أكثر من الخير، بل كان كلُّ خيرٍ هو غذاء قوّةٍ للجاهليَّة نفسها كما ينصف كل باحث.

---

[1] الجمع أَصْعِدَةٌ وَصُعُدٌ.

لكن هذا كله لا يتحقق حتى يؤمن أهل الإسلام أنَّهم الوارثون دون سِواهم، وأنَّ الأُمَّة ألقتْ بعصا الترحال إلى مقاصد الإسلام وتحقيق وُعُوده، وهذا وإنْ كان لم يأتِ على كماله إلى الآن لكنَّه هو ما سيقع لُزُوماً بإذن الله تعالى، ولذلك تقدَّم المقال أنَّ واجبَ أهل الجهاد والبلاء عدم الانخراط في خيوط الجاهليَّة التي تسعى للمشاركة والمُساكنة والتطبيع[1]، والله يقول: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، فالصِّراع دوماً على بعضٍ لا على كلٍّ، مع أنَّ هذا ال (بعض) في دين الله إن تنازل المرء عنه إنَّما يعني التنازل عنِ كلٍّ كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ٧٥﴾ [الإسراء: ٧٤-٧٥].

والفترة القادمة هي فترة امتحان، لا يتوقف الإسلام وحركته مع هذه التنظيمات، بل دلَّت الأحداث على مبدأ الاستبدال ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٨]، فقد تقدَّم القول إنَّ حِراك الأُمَّة جاء بعد أن يئس اليائسون، وتخلى النَّاس، وتساقط الصابرون والمُبتلون، ولم يبقَ إلاَّ القليل من القابضين على الجمر وهم يرقبون رحمة الله بالنَّصر والتأْيِيد، فجاء النَّصر من جهاتٍ هي أبعد في التقديرات عن قول كلِّ أحدٍ، وعلى وجهٍ لا يُدرك شأنه إلاَّ مُدبِّره سبحانه وتعالى، والسنَّة ما زالت قائمة تعمل عملها والسعيد مَن أعدَّ نفسه لها.

[1] وهذا ما حصل من عبد الحكيم الخويلدي بالحاج (أبو عبد الله الصادق) أمير الجماعة الإسلامية المُقاتلة الليبية سابقاً، والقائد العسكري لتحرير مدينة طرابلس من قبضة المدحور القذافي وجيوشه.. فلقد قبل بمنصب ضمن حكومة جاهليّة وبدأ يتحرك بأوامرها.

الاستشراف

﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴾[المائدة: ٥٢].

الأمور ولا شكَّ تَتسارع، وهذا إحدى معاني تسارع الزمان، فإنَّ الدهر بأحداثه وآثاره لا تبدو فيه دقائقه، وحيث الأمور كذلك فإنَّ المرء بين حدَّيْنِ؛ حدُّ الاستطلاع وهو فيه يخاف الخطأ، لأنَّ التسارع يعني أن ما ستكتبه اليوم في لحظة قد يكون هو مساءة، وقد تدخل عوامل كثيرة تغير الملامح وتقلب التوقعات، وأما الحدُّ الثاني فهو أنَّ السكوت مهلكٌ كما السكون، فإنَّ فاعليَّة المؤمن تأبى الوقوف موقف المنافقين المُتفرجين ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [النساء: ١٤١]، ومَن كان على جادَّة الحقِّ الشرعي فيما يظنُّ ويُقارب فلن يضرَّه إنْ أخطأ الاجتهاد في العمل والله يقول: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[آل عمران: ١٥٩]، وهذا يعني أنَّ أمر المؤمن كلّه له خير، وعلى أي تقدير رسا واختار، وخاصَّة أنَّ عموم ما يُقال مِن شرعٍ يُوافق الحقَّ على كلِّ حالٍ من الاستشراف والتنبؤ، وهذا الفعل أمام وقائع متعددة جرت في أقطار المسلمين، ولكن كاتب هذه الورقات يظنُّ أنَّ عمومها سيجري إلى حالٍ واحدٍ بإذن الله تعالى، وهو الوصول إلى الوراثة وإلى المُواجهة كذلك، إذ الوراثة في دين الله تعالى أن تحمل دولة الإسلام مقاصد الدعوة، وهو ما يحاول الجميع اليوم من جماعات العمل السياسي الهروب منه، إذ الدولة عندهم في وجهتها الكُلِّية هي وجهة الدولة الجاهليَّة أي بلا دعوة، بل خدميَّة فقط، كما لا يتحقق فيها إقامة شرع الله تعالى، والذي هو العدل كلُّه والخير كلُّه والمصالح كلُّها، ولذلك سأبدأ باستشراف ما

ستكون عليه هذه الأقطار التي سقط فيها الطاغوت مع عدم تشظي الدولة، وسلك فيها جماعات العمل السياسي مسلك المشاركة كما سمُّوا ذلك، وهي سبيل جاهلي كما يعلم كلُّ مَن عَلِمَ دين الله تعالى، ولكن ليست هذه الأوراق للحُكم والمُناقشة إنَّما لغير ذلك.

فهذه الأقطار وصلت فيها جماعات العمل السياسي إلى السلطة مع المُشاركة، ودلَّ هذا على الخير في النَّاس لا صواب فعل هذه الجماعات، فإنَّ النَّاس عملوا الدين الذي علموه، وسلكوا الطريق الذي ظنُّوا خيره وصوابه، وهذا كافٍ في الحُكم على النَّاس والأمم والطوائف، فالله لا يُكلف نفساً إلاَّ وُسعها، وبوصول هذه الجماعات إلى الحُكم سيغيِّر نظرة النَّاس إليهم، فما كان يقبل منهم زمن الابتلاء وهو كلمة الحقِّ دون فِعله؛ أي على مستوى الأُمَّة، لن يُقبل اليوم، ولذلك هم في خِيارٍ بين طريق الإمامة أو طريق الاستبدال، وأمرٌ آخرٌ وهو قضايا الأُمَّة العامَّة خارج نطاق القُطر الواحد، وخاصَّة قضيَّة الأُمَّة وهي القضيَّة الفلسطينيَّة، فإنَّ جماعات العمل السياسي تحاول جاهدة كما هي طبيعتها في المرحلة السابقة وقد ورثتها عنها في هذه المرحلة، أنْ تُرضي الغرب عنها، وهم يفعلون ذلك ضمن حسابات ليس هذا أوان مُناقشتها وردِّ بُطلانها، ومن المعلوم أنَّ إحدى مرتكزات الغرب في التعامل قبولاً وردَّاً مع الدول والجماعات هو موقفها من دولة يهود والقضيَّة الفلسطينيَّة، ولذلك فإنَّ وجود هذه الجماعات في منصَّة الحُكم يُوجب عليهم لُزوماً ـ إنْ انحازوا إلى فِطرة الأُمَّة ومعانيها الجمعيَّة ـ مُعاداة الغرب والدخول معهم في مُواجهة، وهذه مرتبة الإمامة، وإنْ كانت الأُخرى، وهو بقاء حالة المُيوعة والمُداهنة فهي الاستبدال كما الأولى، ولشرح ذلك نقول:ـ

إنَّ من مشاكل جماعات العمل السياسي الكُبرى أنَّهم يخافون المُواجهات الحقيقيَّة، وهم في أصواتهم الكُبرى حين البلاء وإعراض الطواغيت عنهم إلا أنَّهم سُرعان ما يتنازلون عندما يبتسم لهم ويلوح لهم بشكل الجزرة، مع جمعهم لخطيئة أُخرى وهي أنَّهم في حال أصواتهم العالية ينسون ردَّة الفعل السننيَّة من الطاغوت، وهي الضرب والإبادة والاستئصال، ولذلك كثرت حوادث تعريضهم جماعتهم للبلاء والامتحان دون مواجهة حقيقيَّة على الأرض بينهم وبين الطاغوت سوى كلماتهم الكُبرى، وهي كلمات وفقط، مع خُلُوِّهَا من المضمون الشرعي الذي يحقق حالة شرعيَّة تُوافق هذا المضمون، وهم في جريانهم ضِمن هذا السبيل لا يعلِّق النَّاس عليهم كبير مطالب لأنَّهم يرونهم في حال بلاء واستضعاف، ولكن دلَّت الأحوال المُخالفة؛ وهي حالات تبسُّم الطاغوت لهم أن داهنوا وركنوا للشرِّ، وهذا قد رآه النَّاس في الأردن والعراق وأفغانستان واليمن، فإنَّ الحال وصل بهم إلى التماهي مع الطواغيت والدخول معهم ضدَّ الخير والجهاد ومقاصد الإسلام كما في أفغانستان والعراق، ولذلك فإنَّ جماعات العمل السياسي لا يخاف منها كثيراً حال البلاء بل الخوف الأكبر حال السعة، وإعذار النَّاس لهم في زمن البلاء سيسقط حال الرخاء، وخاصَّة أنَّ هذه الجماعات كان لها كبير صراخ في انحيازهم لقضايا الأُمَّة، بل كان الكثير من التعاطف يقع بسبب هذا الانحياز، سواء على مُستوى المطالب ودَفْعِ المظالم الداخليَّة أو مع قضيَّة المسلمين العُظمى وهي القضيَّة الفلسطينيَّة.

وهذه الجماعات اليوم في ظروف هذه الدول وصلت لنوع تمكين من خلال تعاطف النَّاس معهم والمحمول من الفترات السابقة، ولم يكن وُصُولُهم بالفِعْلِ الذاتي، فالحِراك عنوانه الأُمَّة كلَّها لا طائفة منهم ولا من غيرهم، ولذلك ستبقى هذه الجماعات أسيرة لفِطرة الأُمَّة ورصدها لهم، وما كانوا هم يطلبون من

الطواغيت ستطلبه الأُمَّة منهم، وستبرز الأسئلة أمامهم عن مواقفهم من البنوك الربويَّة، ومن التشريعات الشِركيَّة، ومن محاسبة الفاسدين والقضاء على أيديهم وسُلطانهم، وتولية الصالحين، وإصلاح سُبل ومَرافق الحياة، ولن يعذرهم النَّاس بما يتصورون من مقالاتهم السابقة أنَّ الأمر يحتاج لوقتٍ أو لتدرُجٍ، فقد ثبت أنَّ الأُمَّة تتحمل الكثير من البلاء في سبيل قضاياها، وليس لهم في ذلك معاذير.

وهذه المسألة تُوجب على طائفة الحقِّ الحِراك في الأُمَّة وتذكيرها بواجبات هؤلاء المُمكَّنين الجُدد، والوقوف منهم موقف العلماء في محاسبة الحُكام مهما كان نوعهم، وهذا الأمر يُؤكد ما تقدَّم سابقاً من وُجُوب بقاء طائفة الحقِّ والجهاد والعِلم والهُدى خارج هذه الأُطر.

والمرجو من هؤلاء القوم؛ جماعات العمل السياسي أن يخرجوا مِن جُبنهم الكامن في نفوسهم، ومن خوفهم أنَّ الأُمَّة لا تحتمل، ومِن ترددهم المُزمن أمام القضايا العُظمى، ومِن تسويفهم من اتخاذ المواقع المتقدِّمة ضدَّ الجاهلية ومُصارعتها، فإنْ حصل منهم ذلك حصلت بهم الإمامة، وهذا الحصول يعني دخول هذه الجماعات والأُمَّة معها في ذلك ضدَّ الزنادقة والعلمانيين، وسيجد أهل الجهاد والبلاء أنفسهم جنوداً لهؤلاء القوم برفعهم راية الحق والانحياز له دون الباطل وجُنده.

وهذا الانحياز لا يحقق عَداء العُملاء والزنادقة من العلمانيين المُرتدين في بلادنا بل سيغضب عليهم الغرب الذي سعى هؤلاء لتطمينه كثيراً، وبذلك سيتحقق ما يكون من المسألة التالية بذلك؛ أعني القضيَّة الفلسطينيَّة.

فمن المعلوم أنَّ الأُمَّةَ بحسِّها ووعيها لن تلبث أن ترفع راية الجهاد ضدَّ يهود ودولتهم، وسيجد النَّاس من طوائف العمل السياسي أنَّ الأُمَّة هي التي

ستدفعهم للمُواجهة كما دفعتهم في أمر هذه الثورات والحِراك، ومَن تأملَ الرايات التي رُفعت بعد تحقيق بعض النَّصر أدرك هذا جليًّاً، فهذه قضيَّة أُمَّة، وهي في هذا الباب على الضدِّ من انحياز الغرب وسياسته ومِن عُملائهم وأزلامهم كذلك، وهي بوابة صراعٍ ومُدافعةٍ ومنازعةٍ بلا شكٍّ، وليس لها بين الفريقين إلاَّ هذا المصير.

ولذلك سيجد هؤلاء أنفسهم أمام مُواجهةٍ حقيقيَّةٍ مع الغرب وجُنوده، شاءُوا أم أبواْ، ولن ينفعهم التقنُّع وراء الكلمات الشائكة التي يتداولونها اليوم لتطمين الغرب أو التحايل عليه، فإنَّ موقع القيادة يستلزم مواقف عمليَّة لا قوليَّة، وسيكون حُكم الأُمَّة عليهم قاسياً، وأنصاف الحلول لا تنفع، ولا المواقف المائعة، ولذلك سيكون الحال جليًّاً: إمَّا مع الأُمَّة وقضيَّتها بل وقضاياها وإمَّا الدخول مع طوائف الباطل، وهؤلاء يعلمون أنَّ جزءاً كبيراً مِن حُبِّ النَّاس لهم هو حملهم هذه القضيَّة، وقد تعامى النَّاس وتغافلوا كثيراً عن ممارساتهم مُقابل حَملهم وتعاطفهم مع هذه القضيَّة، والغرب بمؤسساته وبسلطاته المُتعددة يعتبر الوجود اليهودي في فلسطين قضيَّة مركزيَّة وذلك بفعل قِوى الضغط في داخله وخاصَّة في داخل الطاغوت المجرم الولايات المتحدة الأمريكيَّة، ولن يتحمَّل الغرب أي محاولات ضدَّ هذا الكيان المجرم، ولذلك ستكون هذه القضيَّة عامِلَ حسمٍ في تحديد الإمامة ولمن ستكون، كما أنَّ طوائف الجهاد سيكون مِن حُسْنِ سلوكها وعملها أن تبقي قضايا المسلمين قائمة حيَّة وخاصَّة قضيَّة الجهاد، حتى تتحول الدولة بحقٍّ إلى دولة دعوة كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [الحج: ٤١]. وهي ما لم تهتدِ إليه إلى هذه اللحظة جماعات العمل السياسي، بل أئمته بفضل الله تعالى هم أهل الجهاد والبلاء، ومِن المعلوم أنَّ الدولة لا تكون إسلاميَّة بغير هذه الصِبغة.

فهذه القضايا العُظمى والتي هي أركان الدولة الإسلاميَّة هي مفاتيح صراع ومُدافعة بين الإسلام وخُصومه من الغرب المجرم والزنادقة الوطنيين، وما دام أهل الإسلام في حمل حقيقي لمفهوم الدولة بمعناها في القرآن فهذا لا يعني إلا شيئاً واحداً هو المُواجهة، وهي كذلك تحمل هموم الأُمَّة وقضاياها، وبهذا تعلم أنَّ المصير الذي يجب الاهتمام بوقوعه قريباً هو أنَّ سبيل المجاهدين هو الوارث الحقيقي لهذا الحِراك وأنَّ ما نراه هو مُقدِّمات ذلك، وستكون جماعات العمل السياسي أمام خيارين إمَّا الإمامة أو الاستبدال، والدعاء إلى الله أن يهتدوا لطريق الإمامة وهم أحقُّ بذلك عند اختيارهم الحقَّ.

وإنَّ من الاستشراف أن يتوقَّع غزو الغرب لهذه الأُمَّة من جديد، فما زال الغرب مع كلِّ ما يُعانيه من آلام اقتصاديَّة واجتماعيَّة إلاَّ أنَّه على الدوام كان يحلُّ مشاكله هذه عن طريق الغزو كما كان في الحروب الصليبيَّة، وكما كان في حركة الاستكشاف والغزو الأخير الذي سُمي كذباً بالاستعمار، لأنَّ الغزو حينئذٍ سيكون على وجه التوحُّش والغنيمة المُباشرة لحلِّ مشاكله وقضاياه، وسيكون تحت شعارات كاذبة كما هو شأنهم في غزوهم كلِّه[1]، وهذا الاحتمال قد يستبعده بعض الناس في أيامنا هذه لما يرون من مُعاناة الغرب المُشرك في أفغانستان والعراق، وهذا فيه بعض الحقِّ، لكن تمدد اليمين المُتعصِّب، وغَلبة المفهوم الصهيوني اليهودي على الفكر والدين النصراني سيكون للغزو المحتمل القادم معاني أُخرى غير هذه المعاني التي يُعاني فيها غزوهم اليوم لأفغانستان، فهذا

---

[1] بل أثبتوا هذا أخيراً، وما تدخلهم في ليبيا تحت حلف الناتو إلا من هذا القبيل.. فقد قسموا منتوج ليبيا للغاز الطبيعي والبترول فيما بينهم، وأبقوا الفُتات للحكومة الليبية. ولا يضحكون على ذقوننا بقولهم أنهم جاءوا لإسقاط القذافي ونظامه، وحماية المدنيين... فها هم يرون العشرات بل المئات تُقتل كل يوم بيد النُصيري المجرم بشار وجيوشه فلم يُحركوا ساكناً، وحتى قوات حفظ السلام ـ كما يُسمونها ـ والتي أُرسلت إلى سوريا للمراقبة قد علقت أعمالها كي تخلو الساحة لعدو الله ليُقتل ما تبقى من الشعب المسلم الأعزل.. فلعنة الله على الكافرين.

غزو يقوم به سياسيون لمقاصد غير مفهومة لشعوبهم على وجهٍ كُلي، لكن حين يبدأ التحريض بالغزو من أجل الغنيمة في داخل شعوب جوعى ومُتوحِّشة ومصابة بسعار استعلاء ضدَّ أمتنا فسيكون للغزو وجه آخر وطريقة أُخرى، وهذا احتمال قائم لا ينبغي إغفاله.

والقصد أن يُقال: إنَّ هذه المرحلة لا يحسد عليها جماعات العمل السياسي، ولا يدلُّ أمرهم على صواب طريقتهم، بل الحقُّ أنَّ أمرهم إلى ابتلاء وامتحان، وهو قادمٌ لمن تأملَ ونظرَ.

وأما محاولاتهم في بعض الأقطار من التماهي والمُشاركة مع الزنادقة والعلمانيين تحت باب الوطنيَّة فهي مرحلة قلقة خادعة، وهي عند هؤلاء الزنادقة وأئمتهم مرحلة ضروريَّة لاستيعاب غضب النَّاس، ولن يكفَّ هؤلاء عن المكر كما هو شأنهم كلُّه حتى يخلو لهم الجو، وجهالات هذه الجماعات الإسلاميَّة في هذا الباب لا تنقضي، لكن الأُمَّة بعد هذه المسيرة لن تخدع، وانتشار منهج الجهاد في البلاد، وما حصل من بعث ربَّاني للنفوس تضحيةً واندفاعاً للحقِّ لن يُسكتهم المشايخ ولا الفتاوى ولا قادة الأحزاب، ولذلك فالصِّراع واقعٌ لا محالة في هذه الأقطار، ولن تتسع أرض الإسلام إلاَّ لمنهجٍ واحدٍ، ودينٍ واحدٍ، وكلُّ الدعاء أن تزول الغربة ويتحقق النَّصر لدينه ولأهل دينه. آمين.

ولذلك يُقال للنَّاس في هذه البلاد وغيرها إنَّ أوراق المُدافعة ما زالت، ولا يستطيع أحدٌ أن يعرف الوِجهة الذي تتحقق به الغلبة، فكلُّ الاحتمالات مفتوحة، ومَن صبر رأى وأدركَ وسبَّح لربِّ العزَّة والجلال وهو يقرأ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠].

لكنَّ ما تقدم من صيرورة الأحداث نحو المُدافعة والصِّراع في هذه الأقطار يُوجب كما تقدم كثيراً أن يهتمَّ أهل الحقِّ بالبناء وأن يحضِّرُوا أنفسهم للمُبادرة،

فالتجارب علَّمت العاقل أنَّ مجرَّد الجموع لا تنفع أمام الجيوش وعصابات الأمن، وأنَّ مبدأ التسليم والسكون لهؤلاء سيجرُّ تجارب مُؤلمة جديدة كما حصل سابقاً، حيث كان الآلاف يُساقون إلى السجون بالسكون والتسليم، وكم من مرَّةٍ اقترب النَّصر إلى جِباه المؤمنين فلم يُبادروا لقطفه، بل تركوه لغيرهم من أهل الكفر والردَّة، فكانوا بذلك أحقَّ بالوراثة من المتردد والجبان والمُتخاذل، وإنَّ واقع الأمر علَّم العاقل أنَّ الأُمَّة على استعدادٍ لخوض الغمرات والبلاء، فلا يلتفت إلى كلام المخذلين أو زاعمي النظر في المصالح، فهؤلاء تثبت أحوالهم أنَّهم أبعدُ النَّاس عن العقل والنظر أو فهم المصالح أو تقدير الأمور على وجهها الصحيح، وليُعلم أنَّ كلَّ لحظة يغيب فيها أهل الحقِّ من الإمامة والقيادة إنَّما يتجذَّر بها الفساد وأهله، ويخلو لهم الجو للبناء والتمكُّن، ومما تقدَّم في هذا الباب فإنَّ البصيرة المُهتدية تُوجب على هؤلاء المهديين أن يمارسوا دور الضاغط على الواقع، وفي كلِّ الاتجاهات نحو قضايا الحقِّ وخاصَّة القضيَّة الماليَّة وما يتعلّق بالربا، والقضيَّة السياسيَّة وهي انضواء الأنظمة تحت هيئات كُفريَّة شركيَّة، وقضية فلسطين، فهذه عناوين الضغط التي تجمع الأُمَّة حولها ضدَّ أصحاب الأدوار الوسيطة ممن حصل لهم نوع تمكين من جماعات العمل السياسي الإسلامي، وهي قضايا إسلاميَّة عظيمة تدفع إلى مُراد الله تعالى ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤]، وهي قضايا يحصل بها الفَرز بين الحقِّ والباطل، ويُعَجِّل كشف أصحاب الأدوار الوسيطة إمَّا انحيازٌ إلى الحقِّ فالإمامة، وإما الاستبدال والانقلاب على الأعقاب، والأُمَّة بمجموعها لا تجهل هذه القضايا، ولا تحتاج إلى كبير عِلْمٍ في إدراكها وكشفِ دلالتها، وهي بذاتها مفتاح صراع مع الطواغيت الكبار في الغرب، وبها يحقق مفهوم الدولة في بنائها الذاتي، ووقوع الصِّراع والجهاد يحقق الدولة في وجهتها الخارجيَّة.

وأمَّا تفاصيل هذه القضايا، وكيفية الخوض فيها مع الأُمَّة وجموعها فهذه مهمَّة القادة في الأقطار، والأمر يحتاج إلى علماء وحُكماء لهم بصيرة الإدارة وتأجيج الصِّراع، وباب ذلك كلّه هو تعريف النَّاس أنَّ هذه من أركان دينهم، وأنَّ المسلم لا يرضى إلاَّ بدولةٍ مسلمةٍ في بنائها الداخلي وتوجهها الخارجي.

وهنا مهمَّةٌ يجب الوصول إليها ولو بالبداية اليسيرة وهي إنشاء مجالس التحكيم الشرعي في هذه الأقطار، وذلك إبطالاً للمحاكم الطاغوتيَّة، وذلك ببيان كفر التحاكم إليها، وكفر الراضي بها من الأنظمة حتى لو كانت في الظرف الوسيط إن قدرت على تغييرها، وبهذا يتمُّ إيجاد البدائل الإيمانيَّة مع البيان، وهذا يُصاحبه الدخول في حياة النَّاس ومُشاركتهم آلامهم، والدفع عنهم إنْ وقع عليهم باطل أو فساد، والإحسان إلى فُقرائهم ومساكينهم، وهذا أمرٌ يحقق سرقة القلوب التي يتمُّ بها انحياز النَّاس للمحاكم الشرعيَّة البديلة، وهذه الوقائع إنْ كان بعض الناس يمنعها في الزمن السابق لوجهٍ من الوجوه، فإنَّ المعنى الممنوع فيها قد بطل شرعاً وقدراً، والمؤسسات الخيريَّة داخل منظومة الجاهليَّة وهيكلها كانت عامل إضعاف لأهل الحقِّ، كما أنَّها عامل قوَّة جاهليَّة، هذا مع منعها كليًّاً للمحاكم الشرعيَّة، لكن المرافق الحيوية والإغاثية اليوم هي عامل مساعد لهذه المحاكم، ولانحياز النَّاس لأهل الحقِّ، فذهب المانع في هذا الزمن الوسيط.

أمَّا ما يُرى في واقع الأقطار التي صار فيها مُواجهة مسلحة بين الأُمَّة والطاغوت كليبيا وسوريا، فيُقال فيها حقَّاً: ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [النور: ١١]. لا أقصد الجهاد والتغيير، فهذا خيرٌ محضٌ على أيِّ وجهٍ كان، لكن أقصد ما وقع من التدمير والإفساد في مرافق الحياة والبيوت، ذلك لأنَّه قد عُلِمَ أنَّ الحضارات لا تقوم في البيئات المُترفة، وحيث يقوم ظنُّ كاتب هذه الأوراق أنَّ ما يقع في سوريا الشام هو مقدِّمة إزالة دولة اليهود اليوم في فلسطين، وهو عنده

العلو الأول المذكور في سورة «الإسراء» على ما شرح في موطنه[1]، فإنَّ هذا الأمر سيُحقق جرأة النفوس وقوَّتها للجهاد الذي تكون وجهة دولة يهود بإذن الله تعالى، فالترف عامل تثبيط، وهو مُدمِّرٌ للإرادات، وحيث ارتفقَ النَّاس السلاح، وصارت بلاد الله تعالى التي تحيط بفلسطين كأنَّها أفغانستان، حالاً ونفسيَّة، فلا يخشى النَّاس فيها الموت، ولا ذهاب الترف والزخارف، وحيث يتحقق معنى الجهاد والشهادة في النفوس، وتصبح البلاد مأوى للمهاجرين والأنصار، فإنَّ هذا هو طريق تغيير وجه المنطقة بإذن الله تعالى، وبها تبرز النبوءات والوُعود الإلهيَّة بنصر الله والفتح من عنده.

إنَّ هذه الساحة لها قيمتها ومعناها في التغيير، ولذلك كل الدلائل تُنبئ أنَّها معركة مفتوحة ضدَّ قِوى متنوعة، فالروافض الزنادقة يعتبرون المعركة معركتهم، وسيدفعون بكلِّ أوراقهم لمنع سقوط الطاغية النُصيري وطائفته، والأردن يحاول جهده إسقاط النظام السوري دون حصول حال يعلم فيها أنَّ الدور اللاحق عليه، وهو ما سيكون بإذن الله تعالى، فالنَّاس ينتظرون هناك ما يحصل في السوري ليعرفوا موطئ قدمهم القادم، وسقوط النظام النُصيري في سوريا على وجه التشظي بفاعليَّة طوائف الجهاد على مرافقه يعني أنَّ الأردن في مرمى النَّار القادمة، وهذا ما سيدفع قِوى الغرب للاستنفار والدخول في واقع هذه المعركة بجنودها أو قريباً من ذلك، هذا هو ما تُنبئ عليه القراءة الأُولى، لكن مما يدل على تدبير الله لهذه المعركة أنَّ كلَّ خيارات الأنظمة بعدم الوصول في سوريا إلى حال الاستعصاء كحال أفغانستان تبوء بالفشل، فإنَّ الرغبة في إسقاط النظام

[1] لقد قام الشيخ ـ حفظه الله تعالى، وعجل بفك أسره، وجميع المسلمين ـ بتفسير سورة «الشورى» تفسيراً ممتعاً تطرق فيه إلى بيان علو يهود في الأرض، ورجح بالأدلة من التاريخ والوقائع أنَّ العلو الذي يعيشه يهود اليوم هو العلو الأول، وليس العلو الثاني كما هو السائد في مفهوم النَّاس.. فارجع إليها أخا الإسلام.

النُصيري في سوريا تترافق مع جهود أن لا يرثها أهل الجهاد والبلاء، ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ ﴾ [يوسف: ٢١].

أمَّا ما يمكن الجزم به أنَّ ذهاب الترف والزخارف في هذه الأقطار وإنْ كان مُؤلماً على النفوس، لحصول البلاء على أهل الإسلام، إلاَّ أنَّ عاقبته في تمدد الجهاد سيكون خيراً بإذن الله تعالى، ولذلك يجب الاعتناء بهذه المعركة على وجهٍ خاصٍّ، ويكون الاعتناء مصبوباً على صبِّ المزيد من الزيت على نار الجهاد فيها، وخاصَّة انتشار السلاح بين يدي أهلها حتى يُصبح ثقافةً واقعيةً لدى الصغير والكبير، وحينئذٍ سيرى أهل الإيمان ما يسرُّهم بعد ذلك، لا على أرض سوريا المباركة فقط، لكن على عموم المنطقة، وعلى فلسطين بإذن الله تعالى.

هذا بعض الظنِّ، وبعض الأمل، وبعض النظر، وهي معركة دبَّرها الربُّ سبحانه وتعالى في الابتداء، والدعاء أن تجري إلى مُستقرها بتدبيره حيث يتحقق زوال غُربة المؤمنين.



تهلية

إليكم لأنِّي أُحبكم :-

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

لقد صبرتم وبذلتم، ووقفتم جميعاً مواقف الإيمان، قادةً وأتباعاً، ورفعتم راية الحقِّ: الوراثة أو الشهادة، فلم تتراجعوا ولم تتخاذلوا، بل كنتم دوماً وقود معارك الحقِّ، فالنظر إلى الوراء ليس من شِيَمكم، والبكاء على الدنيا صنيع غيركم، وأنتم منه براء.

لقد قدتم خير معارك الإسلام في العراق، وكان رجل الإسلام، والذي هو ابنكم؛ أعني أبا مصعب الزرقاوي هو إمام الجهاد، وهو من أذلَّ أعناق طاغوت العصر أمريكا، فأشعل بهِمَّته وفِعاله الأرض تحت أقدامهم ناراً، واستوعب بحُسن خُلقه وجودة تدبيره شباب الإسلام، فسارت حوله وفي رِكابه رياح الحقِّ تزيل أرواح الباطل والنخاسة، فحسده الحاسدون، وقذفه المُرجفون بكلماتهم، وحاربه الطغاة والزنادقة والمُرتدون، لكن وجهته أثمرت خير ما تنبت الأرض؛ الشهادة في سبيل الله تعالى، فحطَّت تحت إمامته ركائب الشباب في أجواف طير خُضْرٍ تسرح في الجنَّة حيث تشاء، فضجت أمريكا صُراخ ألمٍ، وكانت على مشارف إعلان الهزيمة والاستسلام، حتى جاءها أهل النِّفاق والردَّة فأنجدوها، وكان ما كان مما سيبخل أهل الإسلام في يومنا هذا عن كتابته للحسد والجهل، واليوم خرج الجيش الأمريكي من العراق في بعض صوره، واحتفل مَن احتفل،

ولكن غاب عن المشهد ؛ أي مشهد الاحتفال أهل الحقِّ والولاية والجهاد، ومن بقي منهم من المجاهدين فهم ينتظرون الشهادة أو الإمامة على ما يحبُّه أهل الإيمان.

لكن يا أحبتي هل ضرَّكم أن يذهب النَّاس بالشَّاة والبعير وتذهبون إلى الشهادة؟.

لقد طاف النَّاس بالمرأة يصرخون: زانية، ونطقَ الطفل الرضيع: اللهمَّ اجعلني مثلها[1]، فَمَنِ المُصيب؟ ومن هو على جادَّة الحقِّ؟.

لقد عملتم على وِفْقِ شرع الله بلا إبطاء ولا تخاذل، وحملتم شُعلة البلاء على ما فيها من إحراقٍ وألمٍ، وظننتم ظنَّ الخير بربِّكم وأنَّه ناصر دينه ولن يُضيِّعه، وقد كان، فجاء الخير لأهل الإسلام مِن كلِّ مكان، وعمَّ الخير بلاد المسلمين، والقادم من الخير بإذن الله أعظم، وتراكض النَّاس على استباق الغنائم والمناصب، ففرح الزنادقة أنَّ الثمرة على ما رأوا من قلقِ الحال والزمن لم تكن حجركم، مع ما في شعل الإيمان والجهاد التي توقدونها في المغرب الإسلامي واليمن، والصومال، والعراق، ونسي هؤلاء أنَّكم قُمتم لله ولدينه، ويكفي الواحد منكم فرح القلب أنَّ الثمار قد أينعت، وأنَّ بوادر الخير تلوح قَسماتها في أرض الإسلام، ولو عَلِمَ المُخالف لكم الإنصاف، ولو كان من أهل الشكر لَشَكَرَ لكم فِعالكم، وأدركَ أثركم على الوجود كُلِّه لا على محيطه وقُطره، فأنتم مَن واصل الطريق لَمَّا تخاذل أهل التراجعات، وأنتم مَن أعلنتم الفَصْلَ بين الحقِّ والباطل لَمَا داهن الآخرون وطلبوا مجرَّد القبول والبسمة من الطاغوت، وتعلّم دروس التاريخ أنَّ هؤلاء سيفرحون فرح الجهل أنَّهم ورثوا بعض المغانم وأنتم ما

---

[1] الحديث أخرجه البخاري ومسلم. «صحيح البخاري» باب قول الله: (واذكر في الكتاب): ١٢٦٨/٣/ حديث رقم: ٣٣٦٤، باب حديث الغار: ١٢٧٩/٣/ حديث رقم: ٣٣٩١. «صحيح مسلم» باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة: ٩٠/١٦/ حديث رقم: ٦٤٦١. كلاهما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

زِلتم في غَرز الرباط وتحت قصف الحِمم، وهم بوهمهم الجاهل يظنُّون أنَّهم أهل الصَّواب والحقِّ دُونكم، ونسي الجميع أنَّ الحقَّ لا يعرف بهذا ولو كان الأمر كذلك لَكان كلُّ مَن وصل لمنصبٍ هو أولى بالحقِّ من مخالفه، أقول لكم هذا خوفاً من أن يتسرب إلى نفوسكم بعض الألم أنَّكم لستم في هذه المواطن التي صار فيها الحِراك، أو أنَّكم لا تستطيعون الوُصول إليها، لكني أقول لكم: لقد مهَّدتم الطريق، وأنبتم السبل، وأشعلتم الأنوار للسائرين، ومَن كان هذا حاله فليس له إلاَّ مقام الشهادة، وهي أجلُّ ما يهديه الله لعبده، وأنتم الآن على غرز الحقِّ، وما زِلتم تُقيمون الحُجَّة على الأُمَّة، وتقرعون أبواب الحقِّ حتى يصل النَّاس إلى مقام العبوديَّة في الدولة والجماعة والإنسان، والذين وصلوا إلى الآن إلى مقام التمكّن أو بعضه أو ظِلاله فلا أظنّ أنَّ مؤمناً يحسدهم على هذا المقام، فالمقالات منهم ما زالت مُشوَّشة، والحقُّ ما زال يختلط بالباطل، وأنتم إنْ كان الظنَّ يُصيب فإنَّ الله قد أعدَّ مقامات الحقِّ التامِّ لكم، وهي ما زالت مخبّأة في عالم الغيب، فتنتظر أبناءكم ووراثكم وأتباع سبيل الحقِّ الذي يقيمون فيه.

فيا أهل الحقِّ لا يغرنَّكم مقامات المُشاركة والمُساكنة، ولا تسرق أعينكم بهارج الظنون في النفوس التي لم تصل بعد في مقالاتها إلى كلمة الحقِّ في القرآن: ﴿**إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ**﴾ [الأنعام: ٥٧]، [يوسف: ٤٠/٦٧]، وهي الكلمة إن تحقق واقعها كنتم أنتم دون سِواكم أهلها ورجالاتها والوارثين لها، وهي لا تكون إلاَّ بالجهاد الذي يحبُّه الله تعالى، وبه تتحقق وُعُوده للمؤمنين ﴿**وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ**﴾ [الروم: ٤].

الزموا غرزكم، فوالله لا يليقُ بكم إلاَّ مقامان دون سِواهما: الشهادة واللحاق بالسابقين من إخوانكم وقادتكم، أو الوارثة التي تعملون فيها ما أمركم الله تعالى، والله عزَّ وجل يُقيم النَّاس على حسب مقاماتهم وجُهودهم وأملهم، فلا يغرنَّكم ما أقام الله غيركم فيه، ولا تذهب نفوسكم إلى غير السبيل الذي يعده

الله برحمته لكم «نظنُّ ونحسب والله حسيبكم»، وأنتم تعلمون دون سِواكم أنَّ الجهل كلَّ الجهل هو الذوبان في اللحظة الراهنة القلقة، فيؤسر الجاهل في داخلها كما قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ [الإسراء: ٨٣]، ثم رأيتم ورأى غيركم كيف فرح بعضهم في لحظة قلقة ثم تبيَّن أنَّ ما في يديه السراب، وأنَّ الطريق ما زال في بدايته، وليكن يقينكم أنَّ الحقَّ لا يقبل القِسمة، وأنَّ القرآن لا يقبل المُشاركة، وأنَّ التوحيد لا يجاور الشرك، وأنتم رضيتم مقام مَن قال الله فيهم: ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [المائدة: ١٦]، فنعم الاختيار وربِّ العزَّة الجلال.

وأقول لكم: لا تنتظروا شُكراً من بشر، ولا إقراراً بحقٍّ لكم مِن مخالفٍ، فقد تقدَّم لكم أنَّ الطوائف الأخرى غيركم على مفرقِ طُرُقٍ إما اللحوق بسبيلكم ـ ولن يعترفوا أنكم أئمته إنْ وجوه ـ فستكون الإمامة لمن دونكم، ولإخلاصكم لربِّكم سيفرحكم هذا ولا يُغضبكم، فإنَّ الأمر أمر دين وآخرة، وإما اللحوق بالجاهليَّة وحينها ستؤوب الأُمَّة لكم ولرجالكم ولطوائفكم المُنتشرة هنا وهناك، وحينها والله هي المحنة لكم، فلا تفرحوا بهذا بل هو البلاء العظيم الذي لا يقوم له إلاَّ الرجال، وهي الفتنة التي قال الله فيها: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس: ١٤]، وقال فيها على لسان موسى عليه السلام لقومه: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأعراف: ١٢٩].

هذه كلماتي لأهل الإسلام جميعاً ولأهل الحقِّ خصوصاً، اقتصرتها قدر الإمكان حتى لا ينسي بعضها بعضاً، وحتى تصل بأقصر الطُرق، ولو شئت لَطولتُ وأكثرتُ، ولكن أردتها على وجه السرعة التي يحصل بها المُراد، والله الموفق وإليه المآب. والحمد لله ربِّ العالمين.

أُمّتي ثارت على باني الصنم[1]

للشاعر المهندس محمد الزُهيري

شاعر القاعدة ـ حفظه الله تعالى ـ

يا أسير الحق بعض الأمر تمْ … راية التوحيد تجتاح القِممْ

يا عتاقاً صاهلاتٍ في دمي … في جبين المجد ضبّاحٌ عَزَمْ

لم تزل في الروح منكم همّةٌ … رغم قيدٍ أُثقلتْ منه القدمْ

في شموخٍ سوف يصهل صوتكم … حيث ثار النقع والجرحُ الْتأم

أبلغوا شيخ الجهاد بثغره … تزأر الآساد في قيد القزمْ

ليس يحمي الدينَ إنْ جاش العدى … في بلادي غيرُ فالِقة اللِممْ

إنَّ من كتموا عويل هجيرها … من وريد القلب أسقوها بدمْ

حين تَستل المواضي ثلةٌ … كلُّ جحجاحٍ ومقدامٍ أشمْ

نطلبُ القتل فتخرق صدرنا … طعنةٌ نجلاء ليس لها ألمْ

نفتدي طهر الحنيف وأمّةً … كلُّ ذبّاح عليها قد جثم

[1] هذه القصيدة الطيبة من نظم أخينا الحبيب أبي أحمد محمد الزُهيري ـ حفظه الله تعالى ـ كان قد كتبها من قبل، ثم أثناء تدقيقه ومُراجعته لرسالة الشيخ أبي قتادة ـ فك الله أسره ـ والتي بين يديك أضاف إليها مجموعة من الأبيات مما جادت به قريحته وقلمه... فبارك الله فيه، وفي جهوده، وجعله ممن قال فيهم المولى تبارك وتعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

يا حُماة الدين يا أُسد الشرى ... إنما يشتاك في الصدر العلمْ
من شفير الجرح صغنا بارقاً ... فجره ضافٍ على كلِّ الظُلَمْ
يا جُموعاً فخرها رشاشها ... إنّ قيد السجن معصمنا قصمْ
أدخل الله سروراً بالغا ... قلب أشياخي منارات الأُمم
قعقعات الحرب ناراً أشعلتْ ... من كماة الحي أصحابَ الهممْ
لم تزل تسري لهيباً في دمي ... وفؤادي فيه منها مصطلمْ
يا سُخاة الروح يا بُذَّالها ... إنَّ حورَ العين تهمي لي نعمْ
قاصرات الطرف لّما أقبلت ... ذُبْتُ فيها بين تقبيلٍ وضَمْ
نَضَّر الله شيوخي كلّهمْ ... أتقياءٌ ليس فيهم مُتهمْ
شيخنا[1] أضحى قتاداً لاذِعاً ... في حُلُوق الناكصين ومَن شتم
قال عنهم في ثنايا بحثهِ[2] ... أنهم كانوا صِغاراً واتهمْ
أبلغوا الشيخ الحبيب المقدسي ... سوف تعلو فوق مَن ظلموا قدم
ثم قولوا للطحاوي إنما ... شملنا في مجلس الشورى الْتَأم
أبلغوا الشيخ الحبيب العاملي ... أنَّ صرح الكُفر ولى وانهدم
ثم قولوا للحدُّوشي إنما ... سجن تِطوانَ تهاوى وانحطم
رغم قيدٍ قد تعالى صوتكم ... صادعاً بالحقِّ بالله اعتصَمْ
حدة التوحيد تزأر في دمي ... أُمتي ثارت على باني الصنم
تونس الخضراء فرَّ طُغاتها ... قد توارى كل مَن فيها ظلَمْ
في ضِفاف النيل فرعون هوى ... سحر هامان وقارون انهزم
فجر(بنغازي) و(مصراتة) همى ... عبّ من ودق الرواعف والديّمْ

---

[1] أبو قتادة الفلسطيني ـ فك الله أسره.

[2] رسالته هذه «المُقاربة لنازلة العصر، قدراً وشرعاً».

إخـــوة الخنـــاس بـــاعوا ديـــنهم ... في زنـــازنهم نـــئن ولا جـــرم
مزَّقـــوا شـــرع الإلـــه وبـــايعوا ... كلـــب (إيـــران) وليًّـــا كـــالغنمْ
ارْتَجـــوا بـــاب الجهـــاد وأتقنـــوا ... فـــنَّ تقبيـــل الأيـــادي والقـــدمْ
في بـــلاد الـــوحي جـــرحٌ غـــائرٌ ... عـــاث فيـــه مَـــن بتلمـــودٍ حَكَـــمْ
فارتقـــبْ صـــبحاً ســـيبزغ فجـــره ... تمـــلأ الآســـادُ ســـاحات الحـــرمْ
شـــامخٌ مـــن تُـــورا بُـــورا صـــارمٌ ... يمـــلأ الـــدنيا زئـــيراً وشمـــمْ

